الآفاق

مجلة أسبوعية تهتم بشئون الحوزات العلمية

- السنة الأولي
- العدد: ٢٤
- الأثنين
- ٩ ذى‌القعده ١٤٤٤ هـ.ق
- ٨ خرداد ١٤٠٢ هـ.ش
- ٢٩ مي ٢٠٢٣ م
- ٨ صفحات
- ٢٠٠٠٠ ريال

الإمام الرضا عليه السلام
سليل العلم النبوي

محمد طاهر الصفار

صفحة ٢

المرجع الحكيم
نبوغ مبكّر متمسك بالعروة الوثقى

بقلم: صلاح عبد الرزاق

صفحة ٧

كلمة المحرّر

ضرورة الالتزام بأدب المناظرة

إزاحة الستار عن وجه الحقيقة هي الغاية الرئيسية من المناظرة. المبدأ في مناظرات الأئمة عليهم السلام كان دائما هو كشف الحقيقة للطرف الآخر والدفاع عنه، وهم كانوا قادرين على القيام بذلك بشكل جيد بدعم من المعرفة الغيبية التي كانت لديهم.

في المناظرة، يحاول كلا الجانبين لإثبات تفوق وجهة نظره على وجهة نظر أخرى من خلال تقديم الحجج والبراهين حتى يكشف عقدة المشكلة من خلال اكتشاف الحقيقة، فمن الطبيعي أن يكون المناظرة دائمًا بين رأيين متعارضين ويكون كل من الطرفين مسؤولاً عن إبداء رأيه والدفاع عنه، ولكن كلاهما يتعهدان أيضًا بالقبول للحقيقة بعد انكشافها وأيضا المساعدة لبث الحقيقة، وهذه هي نقطة الاختلاف بين المناظرة والجدل.

وعلى هذا الأساس ومن أجل اكتشاف الحقيقة وإثباتها، أجرى الإمام الرضا عليه السلام مناظرات مختلفة مع مختلف الأشخاص من المشارب الفكرية المتنوعة، وفي كل منها أقنع الإمام عليه السلام أولئك الذين كانوا يبحثون حقًا عن الحقيقة فأذعنوا بها. ومجالس المناظرة التي عقدها المأمون العباسي بين الإمام عليه السلام وعلماء الأديان والمذاهب في مرو، تصدّق هذا المدعى. كان أكثر ما يبرز في مناظرات الإمام عليه السلام هو التزامه بآداب المناظرة العلمية؛ كالإخلاص في النية والصدق ومراعاة العدالة والإنصاف والتواضع والتسامح والصبر وغيرها من أساليب المناظرة، التي تلعب دورًا مهما في اكتشاف الحقيقة ودحض الباطل.

على الطلاب والحوزويين، في أداء رسالتهم لاكتشاف الحقيقة وتقديمها للعالم، أن يتّبعوا هذه الطريقة للنجاح في مناظراتهم. اليوم، عند توفر المنصات المختلفة لتبادل الأفكار والرؤى، تصبح مراقبة هذه الآداب مهمة بشكل مضاعف في المناظرات العلمية.

قراءة في كتاب

الحوزة العلمية في النجف الأشرف أدوار ومدارس البحث الفقهي - الأصولي

يعدّ كتاب "الحوزة العلمية في النجف الأشرف أدوار ومدارس البحث الفقهي الأصولي من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر الهجريين" من بين أهمّ الكتب التي صدرت في التعريف بمرحلة تأريخية مهمّة من مراحل الحوزة العلمية في النجف الأشرف وهو من تأليف الأستاذ الدكتور السيد عبد الهادي الحكيم نجل العالم المفكّر السيد محمد تقي الحكيم، وللسيد المؤلِّف دور كبير في التعريف بالنجف الأشرف وحوزتها من خلال كتبه الكثيرة والنافعة في هذا المجال العلمي.

وهذا الكتاب محل البحث هو الكتاب الثاني من كتابيه اللذين خصصهما لدراسة أدوار ومدارس البحث الفقهي الأصولي في حوزة النجف الأشرف حصراً. فقد سبقه بكتابه الأول الذي بحث فيه (أدوار ومدارس البحث الفقهي الأصولي من منتصف القرن الخامس إلى نهاية القرن الثاني عشر الهجريين) في حوزة النجف الأشرف.

وأقفُ ههنا عند جهد طيّب يستحق النظر والمراجعة؛ نظراً لما قدّمه السيد المؤلِّف من فهم دقيق وتوثيق مهم لمرحلة تأريخية بارزة من مسار البحث الفقهي/الأصولي في القرن الثالث عشر الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، إذ تُعدّ هذه المرحلة دعامة تحوّل كبرى في مسار هذا البحث على مستوى مدارس أهل البيت عليهم السلام في كل البلدان الإسلامية.

لقد بنى السيد المؤلِّف أفكاره في الكتاب بشكل منهجي؛ سعياً منه لتحقيق أهدافه وغاياته، فقام بتحليل أحداث تلك الحقبة بشكل منطقي ومتسلسل، ورافق ذلك تلازم موضوعي بين فصول الكتاب ومباحثه، فضلاً عن التتبّع الموسوعي، والوقوف عند كل جزئيّات البحث، مستعيناً بأهمّ المصادر التي من شأنها أن تُغني البحث، وتوثّق الحوادث التأريخية الواردة فيه، وكان ذلك بأسلوب تعبيري مميّز، وبصياغة جميلة.

يقع الكتاب في (مائتين وواحد وثمانين) صفحة من القطع الوزيري، طُبع للمرة الثانية بطبعة مزيدة ومنقّحة وصدر عن (مركز كربلاء للدراسات والبحوث التابع للعتبة الحسينية المقدّسة قبل اسابيع). ينتظم الكتاب في ديباجة وخمسة فصول وخاتمة، فضلاً عن إضافة ملحقين، مع إدراج قائمة لأهم مصادر البحث ومراجعه.

قام السيد المؤلِّف بتقسيم هذه المرحلة الزمنية -من القرن الثالث عشر الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري- إلى خمسة أدوار، بدءاً من الدور الثامن وهو دور (المرجعين السيد محمد مهدي بحر العلوم والشيخ جعفر آل كاشف الغطاء) وبعدهما أنجال الشيخ جعفر وغيرهم من العلماء الأجلّاء، وانتهاءً بالدور الثاني عشر وهو دور (تلامذة المحققين الثلاثة: النائيني - الأصفهاني- العراقي حتى الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م) مروراً بالدور التاسع (للشيخ محمد حسن النجفي ومن عاصره من المراجع) والدور العاشر وهو دور (المجدد الشيخ مرتضى الأنصاري وكبار تلامذته ومعاصريه) والدور الحادي عشر وهو دور (المحققين الثلاثة: النائيني - الأصفهاني- العراقي ومعاصريهم الكثر).

يقرّر السيد المؤلف في ديباجته أنّ هذه المرحلة شهدت لأكثر من مرة أفول نجم مدرسة سابقة، وبزوغ فجر مدرسة أخرى جديدة، ممّا دعاه لتسمية هذا التدافع العلمي بـ(المدرسة البحثية البازغة المتغلبة).

قدّم المؤلِّف في الفصل الأول تصوّراً عن الدور الكبير للوحيد البهبهاني في تطوّر علمي الفقه والأصول، وبيّن كيف شكّلت مرجعيته نقطة انعطاف في تطوّر الحوزة العلمية في النجف من خلال تلامذته، لذا الشيخ محمد حسين الكاظمي (١٣٠٨ ه/ ١٨٩٠م) ذلك الذي التمس أستاذه الكاظمي هو والفقيه الشيخ علي رفيش (١٣٣٤ ه/ ١٩١٦م) على إجراء بحث خاص ثانٍ لهما غير البحث الأول الذي كان يجريه - المرجع الكاظمي - لتلامذته الشباب وفق المنهج البحثي الجديد للشيخ الأنصاري، شرط أن يجريه أستاذهما...وفق المنهج البحثي القديم للشيخ جعفر كاشف الغطاء وأنجاله الفقهاء فأجابهما إلى ما أرادا".

ويعزّز الباحث استنتاجه بالتدافع العلمي بين المنهجين العلميين بنقله نصاً للشيخ حرز الدين جاء فيه: "وكنا نحضر معهما- الشيخ الخفاجي والشيخ رفيش - ثم اتسع البحث بحضّاره. وكان البحث الأول تحضر فيه الطلبة من الناشئة الجديدة على طريقة مؤسس بحث علم الأصول الشيخ المرتضى الأنصاري ومن نهج على طريقته وأسلوبه، والثاني جلّهم على الطريقة القديمة لدراسة الفقه والأصول أي على طريقة الشيخ الأكبر الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء...الخ".

ويؤكد المؤلف على أن النهاية التقريبية للتدافع العلمي بين طريقتي الشيخ كاشف الغطاء والشيخ الأنصاري كانت بحدود وفاة المرجع الشيخ راضي (١٢٩٠ ه/ ١٨٧٣ م) مستشهداً بالنص التالي: "وبموته - الشيخ راضي- ماتت طريقة الشيخ كاشف الغطاء وأولاده في الفقه" بتغلّب طريقة بحث الشيخ الأنصاري في الدرس والتدريس إلا أن تُطلب طريقة الشيخ كاشف الغطاء وأنجاله بشكل خاص كما تقدم. وما عادت تُطلب اليوم في حوزة النجف الأشرف.

لقد خصّص المؤلف الفصل الثاني من كتابه بدور ومدرسة الشيخ كاشف الغطاء وأنجاله، فقام بذكر أشهر علماء ذلك العصر، معرّفاً بهم واحداً بعد واحد مبيّناً أبرز نتاجاتهم الفقهية والأصولية، ثمّ سلّط الضوء على الموسوعة الفقهية للشيخ الجواهري (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) مبيناً أبرز ملامح منهجيته ومميّزات كتابه، مشيراً بما لا يدع مجالاً للشك إلى القيمة العلمية لهذا السفر الخالد.

وتضمّن الفصل الثالث تعريفاً بثلّة من العلماء الأعلام في هذه المرحلة، ثم تلا ذلك بيان لفاعلية المجدّد الشيخ الأنصاري من خلال كتبه الرائدة في الفقه والأصول لا سيّما كتابي (المكاسب) في الفقه، (وفرائد الأصول) في أصول الفقه اللذين حظيا بعناية كبيرة إلى يومنا هذا، إذ ساهما في إرساء العديد من القواعد والنظريات والمناهج في مجال البحث الفقهي / الأصولي، ثمّ قدّم لنا المؤلّف قراءة موجزة للبحث الفقهي / الأصولي للشيخ الأنصاري من خلال هذين الكتابين، مع ذكر أمثلة تطبيقية لها من علمي الفقه والأصول، ليتضح بذلك الإبداع الفقهي والأصولي للشيخ الأنصاري.

واختتم السيد كلامه في هذا الفصل بالإشارة إلى أبرز تلاميذ الشيخ الأنصاري، مُجملاً الكلام في مناهجهم وآرائهم.

ويمضي السيد في بحثه وينتقل من مرحلة إلى أخرى بشكل تراتبي متناسق، ليصل إلى الفصل الرابع مقدّماً الكلام بأمرٍ هام، وهو أنّ الحوزة العلمية في النجف الأشرف لم تقتصر على النتاج الفقهي والأصولي، بل شهد دور المحققين الثلاثة النائيني - الأصفهاني - العراقي ظهور الكثير من النتاجات العلمية ذات الصلة بعلوم الفكر الإسلامي وقف عندها السيد المؤلف باختصار منها:

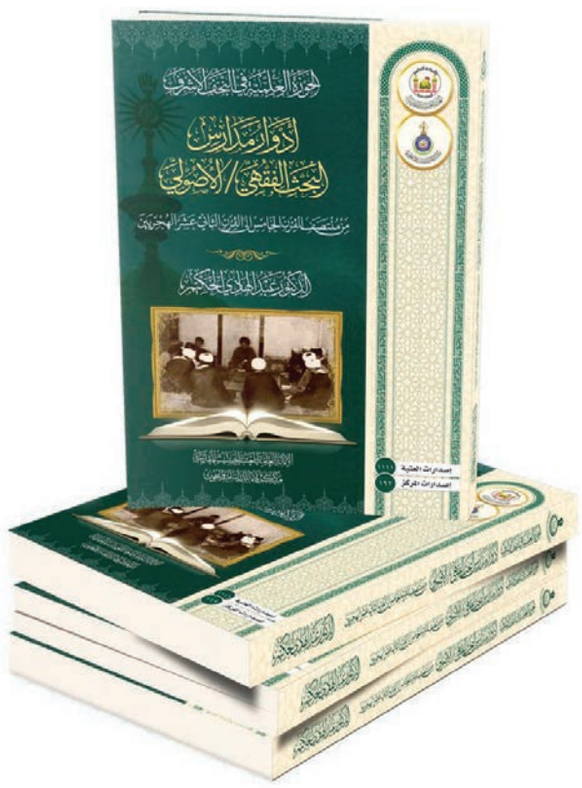

يقرّر المؤلِّف أنّ الجذور المهمّة للمدرسة الأصولية الحديثة في يومنا هذا تعود إلى جملة من النظريّات التي جاء بها المرجع الشيخ الوحيد البهبهاني، ثمّ أشار إلى مساهمته العظيمة في تنشئته لجيل باحث محقّق من الفقهاء المجتهدين، وفي مقدمتهم المرجع العارف السيد محمد مهدي بحر العلوم والمرجع الكبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء.

ويسترسل المؤلِّف في الحديث عن السيد بحر العلوم ومَلَكاته فضلاً عن مميّزات مرجعيته، ثمّ عرّج نحو بيان الدور التجديدي للشيخ كاشف الغطاء وما تميّزت به ذائقته الفقهية وهو المهم في بحثه، مبيّناً بشكل موجز منهجيته في كتابه الكبير: (كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرّاء).

ثم يشير المؤلِّف إلى أنّ هذه المرحلة محل البحث شهدت تدافعاً بين النهج القديم للشيخ كاشف الغطاء وأنجاله وبعض العلماء، والنهج الجديد للمرجع الشيخ مرتضى الأنصاري، والذي انتهى هذا التدافع برسوخ النهج الجديد للشيخ الأنصاري إلى الآن.

وينقلنا السيد المؤلِّف إلى مرحلة زمنية سابقة مستفيداً ذلك استفادة لطيفة دقيقة من خبر أورده المجتهد المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين "أحد شهود ذلك - التدافع العلمي- في ترجمته للفقيه الورع الشيخ حسن بن مطر الخفاجي النجفي (١٣١٦ ه/ ١٨٩٨ م) أحد تلامذة المرجع

الجهد الكبير الذي بذله الشيخ محمد جواد البلاغي في مجال مقارنة الأديان، مسلّطاً الضوء على كتابه القيّم (الرحلة المدرسية) الذي كتبه مؤلِّفه بأسلوب مبتكر نتيجة لحاجة زمنه، ثمّ أخذ يبيّن أبرز الجهود العلمية في تجديد وتطوير كتابة الرسائل العلمية للمكلّفين، مركّزاً الكلام في كتاب (العروة الوثقى) للسيد محمد كاظم اليزدي الذي جدّد في عروته الوثقى كتابة الرسالة العملية لمقتضيات ظروف عصره.

وخَصّص المؤلِّف المبحث الثاني من هذا الفصل لبيان دور المحققين الثلاثة بإيجاز، مبيّناً نظريات المحقق النائيني في الفقه والأصول، ودور المحقق الأصفهاني في منهجة علم الأصول، ثمّ عرض نموذجين لدور المحقق العراقي في الأصول، مستعيناً بنصوص توثيقية بشكل منهجي ومنظّم.

ويختتم السيد منهجه الخاص في التسلسل بين المراحل الزمنية ليوثّق في الفصل الخامس قضية مهمّة، وهي وجود اهتمام ملحوظ في تفسير القرآن الكريم والبحث في العقيدة والفلسفة والتاريخ والسيرة وكتابة الموسوعات والتراجم وغير ذلك من العلوم الإسلامية، ملقياً الضوء على ثلاثة مؤلّفات مهمة في التفسير هي: (الميزان في تفسير القرآن) للمجتهد السيد محمد حسين الطباطبائي، و(البيان في تفسير القرآن) للمرجع السيد أبي القاسم الخوئي، و(مواهب الرحمن في تفسير القرآن) للمرجع السيد عبد الأعلى السبزواري، معرّفاً بمنهجية كل واحد منهم، مكمّلاً العرض في الجهود العلمية الأخرى ذات الصلة باستنباط الاحكام الشرعية كما في البحوث في علوم الحديث والرجال وفي الشعر والأدب أيضاً وغير ذلك.

ويضيف السيد المؤلّف أنّ هذا العصر العلمي تميّز - بالإضافة لما سبق - بأمرين:

أولهما: إعادة كتابة بعض الدروس المقرّرة لطلّاب الحوزة العلمية في مرحلتي المقدمات والسطوح نتيجة الحاجة المستجدة لذلك، وممّن استوضح الحاجة المجدّد الشيخ محمد رضا المظفر، فكتب كتابين مهمّين: (المنطق) لطلبة المقدمات (وأصول الفقه) لطلبة السطوح، بأسلوب منهجي يتناغم مع لغة الحاضر.

وثانيهما: إضافة دروس علمية جديدة إلى المنهج المقرّر لتمكين طالب العلم الديني من الإحاطة بآراء علماء المذاهب الإسلامية الأخرى وخاصة في علمي الفقه والأصول، وقد نهض بهذا الأمر السيد محمد تقي الحكيم بتأليفه وتدريسه لكتابه (الأصول العامة للفقه المقارن) في مسعى غير مسبوق لتأسيس أصول للمقارنة الفقهية بين المذاهب الإسلامية.

وهذان الأمران وظّف فيهما المؤلّف شواهد كثيرة؛ لأهميتهما، مع الحاجة الكبيرة إليهما في وقتنا الحاضر، لينتقل بعدها إلى المبحث الثاني من هذا الفصل والذي عرّج فيه المؤلّف على الدور الكبير لعلماء هذا العصر وهم: السيد أبي الحسن الأصفهاني، والشيخ محمد رضا آل ياسين، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيد محسن الحكيم، والشيخ حسين الحلّي، والسيد ميرزا البجنوردي، والسيد محمد باقر الصدر، والسيد أبي القاسم الخوئي، والسيد عبد الأعلى السبزواري، والشيخ محمد أمين زين الدين.

هذه إطلالة سريعة على ما كتبته أنامل مخلصة حلّلت وأرّخت لمرحلة تأريخية مهمة من مراحل الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

المصدر: وكالة انباء براثا

الأخبـــار الدولـيـــة

آيةالله النجفي: ضرورة الالتزام بالأحكام الشرعية ومعرفة الحلال والحرام في التعاملات

استقبل المرجع الدين الشيخ بشير النجفي وفداً من منتسبي العتبة العباسية المقدسة وذلك للاستماع إلى وصايا سماحته الأبوية، حيث أكّد سماحته على جملةٍ من المفاهيم الإيمانية ومنها السير في طريق رضا الله (عز وجل).

وشدَّد سماحته على ضرورة الالتزام بالأحكام الشرعية ومعرفة الحلال والحرام في التعاملات اليومية والحياة والسلوكيات؛ لتجنّب المعصية والذنوب التي تسبّب سخط الله سبحانه وتعالى.

وكالة الحوزة

الشيخ عيسى قاسم: إهانة وإذلال الشيخ صنقور في مركز التحقيقات الجنائية مطلب صهيوني

ندد آية الله الشيخ عيسى قاسم توقيف خطيب الجمعة في جامع الإمام الصادق (عليه السلام) في الدراز العلامة الكبير الشيخ محمد صنقور من قبل السلطات في البحرين.

وأكد سماحته أن "إهانة الشيخ صنقور وإذلاله في مركز التحقيقات الجنائية من قبل السلطة السياسية والأمنية في بحريننا العزيزة مطلب صهيوني له قيمته الكبيرة في استجابة هذه السلطة لتقديم أغلى الأثمان في نظر الشعب من دين أغلى دين، ورجال ورموز عظام، ومصالح ضخمة على طريق الحصول على رضا الوجود الصهيوني، وإن مثّل ذلك هدما للأمن الداخلي وتهديدا للسلم الاجتماعي، ونقضا للهوية الأصيلة للوطن، وانقلابا سفهيّا على الذات الحضارية".

وكالة الحوزة

آيةالله اعرافي: الحوزة العلمية داعمة لعزة واقتدار إيران والعالم الإسلامي

اكد مدير الحوزات العلمية في الجمهورية الاسلامية الايرانية آية الله علي رضا اعرافي بان الحوزة العلمية داعمة للعزة والاقتدار العلمي والمعنوي والسيادي للجمهورية الاسلامية الايرانية والعالم الإسلامي.

وكالة ارنا

استعدادًا لمؤتمر السيرة النبوية ومهرجان أسبوع الإمامة.. اجتماعان تحضيريان في كربلاء

اجتماعان تحضيريان استعداداً لمؤتمر السيرة النبوية، ومهرجان أسبوع الإمامة، عقدتهما العتبة العباسية المقدسة، ممثلة بكل من قسم الشؤون الفكرية والثقافية، وجمعية العميد العلمية والفكرية.

شفقنا

نائب وزير الدفاع الايراني: من المستحيل للدفاع الجوي للعدو مواجهة صاروخ "خيبر"

اكد نائب وزير الدفاع واسناد القوات المسلحة في الجمهورية الاسلامية الايرانية العميد محمد مهدي فرحي بان من المستحيل للدفاع الجوي للعدو مواجهة صاروخ "خرمشهر ۴" (خيبر).

العالم

السيد حسن نصر الله: معركتنا مع العدو المعتدي مفتوحة ومستمرة

أكد الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله أنّ "من يفترض أنّ المعركة مع الاحتلال الصهيوني قد انتهت فهو مشتبه لأنّ العدو يوميًا يحاول الاعتداء على أرضنا".

الكوثر

تلبية لدعوة رسمية من الرئيس الايراني... سلطان عمان يزور طهران يوم الأحد

وسيستقبل الرئيس الايراني آية الله ابراهيم رئيسي سلطان عمان هيثم بن طارق آل سعيد رسميا في قصر "سعد آباد".

وبعد ذلك تجري المحادثات الخاصة، ومن ثم يجري وفدا البلدين رفيعي المستوى مباحثات ومشاورات للبحث في مختلف القضايا التي تهم الجانبين وسبل تطوير العلاقات الثنائية.

ويرافق عدد من الوزراء وكبار المسؤولين سلطان عمان في هذه الزيارة التي تستغرق يومين.

الكوثر

الشيخ قبلان: انتصار ۲۰۰۰ على العدو الصهيوني كان استثنائيا

أكد المفتي الجعفري الممتاز في لبنان الشيخ أحمد قبلان أن انتصار ۲۰۰۰ على العدو الصهيوني كان استثنائيًا و من هنا لا بد من تقديم أعظم التبريكات بعيد المقاومة والتحرير لهذا البلد العزيز، بخاصة أن هذا الانتصار كان استثنائيًا بسياق هزائم المنطق.

وكالة الحوزة

۴۵ ألف مصلٍ يؤدون صلاة الجمعة في المسجد الأقصى المبارك

أدى عشرات الآلاف من المصلين، اليوم الجمعة ، صلاة الجمعة في المسجد الأقصى المبارك في مدينة القدس المحتلة، رغم الإجراءات المشددة التي فرضتها قوات الاحتلال. وانتشرت قوات الاحتلال الصهيوني في محيط المسجد الأقصى، وتمركزت عند بواباته، وأوقفت المصلين ودققت في بطاقاتهم الشخصية.

وكالة التقريب

كنعاني: الدول الغربية ضد إيران القوية

قال المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الإيرانية " ناصر كنعاني" ردا على الإعراب عن قلق الحكومات الغربية وخاصة الولايات المتحدة وفرنسا من تقدم قوة ايران الدفاعية و قال الدول الغربية لا تريد إيران القوية.

وكالة مهر

أمتاز عصر الإمام الرضا عليه السلام بأتساع الحركة العلمية, حيث نشط البحث والتدوين والتأليف والتصنيف ونشأت المدارس الإسلامية والتيارات الفلسفية والفكرية، وبدأت حركة الترجمة عن اللغات المختلفة، فكانت هذه الفترة من أغنى فترات الفكر والثقافة الإسلامية، وقد عاش في هذه الفترة كبار العلماء والفقهاء والمتكلمين، فكان الإمام الرضا عليه السلام وسط هؤلاء كالقطب من الرحى فهو محور التوجيه ومركز الإشعاع ومنطلق الهداية، ومفزع العلماء وملجأ أهل الفكر يناظر على التفسير ويحاور أهل الفلسفة والكلام ويرد على الزنادقة والغلاة حتى جمع محمد بن عيسى اليقطيني المسائل التي أجاب عنها الإمام الرضا عليه السلام في شتى العلوم فبلغت خمسة عشر ألف مسألة، وكان المأمون العباسي يعقد مجالس المناظرة ويدعو المسلمين والمتكلمين وعلماء الأديان الأخرى وأصحاب الدعوات ويدعو الإمام الرضا عليه السلام للمناظرة والحوار، فلا يخرج هؤلاء من المناظرة إلا وقد أقروا بعلم الامام الرضا عليه السلام وفضله عليهم ويعبر الإمام الرضا عليه السلام عن هذه الحقيقة بقوله: كنت أجلس في الروضة والعلماء متوافرون فإذا أعيا الواحد منهم مسألة أشاروا إلي أجمعهم وبعثوا إلي بالمسائل فأجبت عنها.

يقول ابن الجوزي في تذكرة الخواص والحاكم في تاريخ نيسابور: لقد أخذ عليه السلام العلم والحديث عن أبيه، وكان يجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيفتي الناس وهو ابن نيف وعشرين سنة.

لقد تصدى الإمام الرضا عليه السلام لكل أصحاب الفرق المخالفة والأديان والمذاهب وناظرهم وفاق علمه علمهم فقدم للأمة الإسلامية رصيداً علمياً عظيماً تفخر به وقد سجلت كتب التاريخ هذه المناظرات التي يعجز عنها كبار علماء الأمة سوى الإمام الذي تلقى علمه عن آبائه الطاهرين وهي مناظرات طويلة بذل فيها الخصوم كل جهدهم وسخروا كل علمهم فيها لكنهم باءوا بالفشل أمام العلم الإلهي الذي يحمله الإمام فقد كان عليه السلام أعرف منهم بكتابهم فناظر أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الزبور بزبورهم، والصابئين بعبرانيتهم، وأهل الهرابذة بفارسيتهم، وأهل الروم برروميتهم، وأصحاب المقالات بلغاتهم ! فقطع كل صاحب دين ودحض حجته، فرجعوا إلى قول الإمام عليه السلام..

مقالة

الإمام الرضا عليه السلام
سليل العلم النبوي

محمد طاهر الصفار

مع الجاثليق

أثبت عليه السلام للجاثليق - كبير النصارى - حقيقة نبوة النبي (ص) في الإنجيل على لسان يوحنا الديلمي أقرب الناس إلى المسيح والذي قال: إنما المسيح أخبرني بدين محمد العربي وبشرني به أنه يكون من بعده فبشرت به الحواريين فآمنوا به؟

كما أثبت لهم السفر الذي جاء فيه ذكر محمد وأهل بيته وأمته وأجاب عليه السلام عن أسئلة الجاثليق عن عدد حواري عيسى بن مريم عليه السلام وعن علماء الإنجيل كم كانوا؟ ومن هم؟ ثم أفحمه الإمام عليه السلام عندما قال له الجاثليق إن عيسى ما أفطر يوماً قط ولا نام بليل قط وما زال صائم الدهر وقائم الليل.

فقال له عليه السلام: فلمن كان يصوم ويصلي؟!

ولما علل الجاثليق عبادته للمسيح عليه السلام بأنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص فهو رب مستحق لأن يعبد. قال له الإمام الرضا عليه السلام: فإن اليسع قد صنع مثل صنع عيسى عليه السلام, مشى على الماء وأحيا الموتى وأبرء الأكمه والأبرص، فلم تتخذه أمته رباً ولم يعبده أحد من دون الله (عز وجل)، ولقد صنع حزقيل النبي عليه السلام مثل ما صنع عيسى بن مريم فأحيا خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستين سنة قبل المسيح كما أحيا النبي إبراهيم وموسى الموتى قبل النبي.

رأس الجالوت

ثم أثبت عليه السلام لرأس الجالوت كبير اليهود نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في التوراة فقال له: أقبل عليّ أسألك بالعشر آيات التي أُنزلت على موسى بن عمران عليه السلام هل تجد في التوراة مكتوبا بنبأ محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمته إذا جاءت الأمة الأخيرة أتباع راكب البعير يسبّحون الرب جداً جداً تسبيحاً جديداً في الكنائس الجدد فليفرغ بنو إسرائيل إليهم وإلى ملكهم, لتطمئن قلوبهم، فإن بأيديهم سيوفاً ينتقمون بها من الأمم الكافرة في أقطار الأرض. أهكذا هو في التوراة مكتوب؟

فقال رأس الجالوت: نعم إنا لنجده كذلك.

عمران الصابئ

كما ناظر عليه السلام عمران الصابي -كبير الصابئة - وأجاب على أسئلته وأفحمه بالجواب فلما سأله عمران عن الكائن الأول وعما خلق قال له عليه السلام:

سألت فافهم أما الواحد فلم يزل واحداً كائناً لا شيء معه بلا حدود وأعراض ولا يزال كذلك ثم خلق خلقاً مبتدعاً مختلفاً بأعراض وحدود مختلفة لا في شيء أقامه ولا في شيء حده ولا على شيء حذاه ومثله له، فجعل الخلق من بعد ذلك صفوه وغير صفوه واختلافاً وائتلافاً وألواناً وذوقاً وطعماً، لا لحاجة كانت منه إلى ذلك ولا لفضل منزلة لم يبلغها إلا به، ولا أرى لنفسه فيما خلق زيادة ولا نقصاناً.

ثم قال عليه السلام: واعلم يا عمران أنّه لو كان خلق ما خلق لحاجه لم يخلق إلاّ من يستعين به على حاجته ولكان ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق؛ لأنّ الأعوان كلما كثروا كان صاحبهم أقوى والحاجة. يا عمران . لا يسعها لأنه كان لم يحدث من الخلق شيئاً إلاّ حدثت به حاجه أخرى؛ ولذلك أقول: لم يخلق الخلق لحاجة ولكن نقل بالخلق الحوائج بعضهم إلى بعض وفضل بعضهم على بعض بلا حاجة منه إلى فضل ولا نقمه منه على من أذل، فلهذا خلق.

فقال عمران: يا سيدي، هل كان الكائن معلوما في نفسه عند نفسه؟

قال الرضا عليه السلام: إنّما يكون المَعْلَمة بالشيء لنفي خلافه، وليكون الشيء نفسه بما نُفي عنه موجوداً، ولم يكن هناك شيء يُخالفه فتدعوه الحاجة إلى نفي ذلك الشيء عن نفسه بتحديد ما علم منها ....

وهي مناظرة طويلة جداً تضمنت أسئلة وأجوبة عن علم الله بما في الضمائر وحدود خلق الله ووحدانيته ومعنى الكلام والنطق لله تعالى والتغيّر والحدوث والإبداع والخلق وحقيقة وجود الله تعالى وفي نهاية المناظرة أذعن فيها عمران للحق الذي جاء على لسان الإمام وأسلم

كما ناظر عليه السلام الهربذ الأكبر(عالم المجوس وقيل عظماء الهنود) وأصحاب (زرادشت) ونسطاس الرومي (عالم بالطب) والمتكلمين (الفلاسفة وعلماء المذاهب الإسلامية)

المصدر: العتبة الحسينية المقدسة

مقال/ أ. د. صاحب محمد حسين نصّار

دور العلامة الحلي في تطور الدراسات الفقهية المقارنة

بين سنة(۴۰۳- ۵۴۵ه) في الحلة الفيحاء، نشأت دولة صغيرة قوية أعادت للعراق عزته واستقلاله ووحدته بعدما كان مشتتاً بفعل (السلاجقة) وأذنابهم، واهتمت بالشؤون الادارية والعمرانية والثقافية فنشرت العدل في البلاد وكانت تحترم العلماء والأدباء وتجزل لهم العطاء لذلك انتعشت الحركة العلمية فيها.

لقد اتخذ سيف الدولة صدقة بن منصور بن علي بن دبيس من الحلة عاصمة لإمارته التي امتد نفوذها إلى البصرة وواسط والكوفة وهيت وعانة وحديثة، وخضعت لها قوى القبائل، حتى انه قد نفي الشيخ الاكبر الشيخ المفيد (ت۴۱۳ه) إليها في فترة ملتهبة من تأريخ بغداد. كان التوصيفُ (الإمامي) لها أكثر وضوحاً في الدولة الحمدانية، ففي الشطر الأخير من الدولة العباسية قامت دول عدة في المغرب والشام والموصل ومصر وبعض شمال أفريقيا والعراق وايران، ولعل السمة السائدة والصفة المشتركة بين هذه الدول انها شيعية.

والحلة يومذاك موئل الأسر العلمية الشيعية كآل البطريق، وآل نما- آل طاووس ، وآل المطهر، آل معية وغيرها.

ونتيجة لقيام (المزيدية) وتحرك العلماء في هذه الفترة سياسياً، اصبحت الحلة مركزاً علمياً رئيساً وصارت فيها حوزة علمية كبرى.

وكان من اعلامها: العلامة الحلي وكفى بذلك فخراً فهو من الفقهاء المجددين الذين كانوا يعدُون صياغة جديدة لمنظومة (الاجتهاد) ولهم قصب السبق في إحداث منهجيةٍ متقدمةٍ سواءً على صعيد المباحثة والدراسة أو على صعيد التدوين الفقهي.

ان المعالجة التاريخية لتطور الدرس الفقهي من الموضوعية والاكاديمية بمكان، إذ يعد العلامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر(۶۴۸-۷۲۶ه) من أعلام الفقه الاسلامي في القرن (۸ ه) ليس على صعيد المدرسة الإمامية فحسب إذ انه قرأ على جملة من علماء المذاهب الاخرى وأجازوه، وهو بحق استاذ الفقهاء وكانت هذه الاسرة الحليّة (ولوداً للفقهاء) كموطنها، فخاله المحقق الحلي (ت ۶۷۶ه) وأخوه رضي الدين كان عالماً فاضلاً، والسيدان العميدان ابنا اخته استاذا الشهيد الاول وهكذا... والمبرز الذي لا تفوتني الاشارة اليه هو نجله فخر المحققين(ت۷۷۱ه)، الذي اجاز الشهيد الاول في الحلة وهو ابرز أساتذته.

واما تراث العلامة الفقهي فهو: تذكرة الفقهاء والقواعد ومنتهى المطلب في تحقيق المذهب والمختلف وغيرها الكثير، وما يهمنا هن: التذكرة والمختلف، فـ(التذكرة) من أضخم كتب الإمامية في الفقه الاستدلالي المقارن يبدأ من الطهارة وينتهي بكتاب النكاح فهو بحق تذكرة للفقهاء عموماً ولجميع المذاهب الاسلامية بدراسة مقارنة.

أما (المختلف) فقد بحث فيه المسائل الخلافية بين فقهاء الشيعة بصورة مستقلة أي انه (فقه مقارن) ضمن المذهب الامامي فقد كثر الاختلاف العلمي بين فقهاء الإمامية لابتعادهم عن عصر النص او اختلافهم في فهم النص وتفاوتهم في الايمان بسلامة بعض الروايات سنداً أو دلالة فكان لابد للفقيه من الإحاطة والاستيعاب لمختلف وجوه الرأي في المسألة الواحدة من أجل استنباط الحكم وكان (المختلف) من المحاولات الرائدة في جميع المسائل المختلف فيها بين علماء الامامية.

ان الامتدادات الفقهية المؤثرة ظهرت ضمن تجليات عدة في الشهيد الاول محمد بن مكي العاملي صاحب (اللمعة الدمشقية) فهو تلميذ (فخر المحققين) من خلال منهجية (المقارنة التي طبعت نتاجات الشهيد ولاسيما مع المذاهب الاخرى وكذلك في تصنيفه في القواعد الفقهية: (القواعد والفوائد) الذي عدَّه بعض الباحثين سبّاقاً في هذا المضمار بيد ان الجهود الحلية اسبق في (قواعد العلامة) وفي إيضاح الفوائد في شرح اشكالات القواعد لابن العلامة فخر المحققين ولكن التأسيسات النظرية كانت للشهيد الاول وقد اتّبع الشهيد الاول التبويب الفقهي الذي بلورته المدرسة الحليّة: (عبادات، عقود، إيقاعات، أحكام) وهو ما نراه في (لمعته) شَنَّةً جرى عليها الفقهاء الى يومنا هذا.

ومن اجل تعضيد البحث وتوثيق اطروحته نذكر ما وصفه به معاصره ابن داود الرجالي المعروف آنذاك بقوله: (انتهت رئاسة الامامية اليه في المعقول والمنقول)، ومن المذاهب الاخرى ذكره ابن حجر في لسان الميزان: (علامة الشيعة وامامهم ومصنفهم).

في عام (۷۲۶ه) انتقل الى رحاب بارئه (جل وعلا) ودفن في الحرم العلوي المطهّر في الرواق الصغير جنب المئذنة الشمالية، فسلام عليه يوم ولد ويوم توقف قلمه ويوم يبعث حياً.

المصدر: مجلة الولاية، العدد ۸۰

علـمـاء وأعـلام

العلامة محمدباقر المجلسي

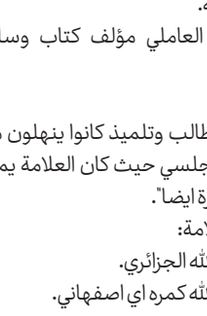

الولادة

لقد ولد محمد الباقر بن محمد التقي بن مقصود علي المجلسي المعروف بالعلامة المجلسي أو المجلسي الثاني سنة ۱۰۳۷ هجرية في مدينة أصفهان.

الاسرة

إن اسرة العلامة المجلسي تعتبر من اشرف الاسر الشيعية في القرون الاخيرة حيث نشاهد في هذه العائلة مئة عالم ورع وكبير تقريباً" و لا نرى لدى أقربائه سوى العلم والفضل.

الشخصية المعنوية

إن العلامة المجلسي اجتاز بسرعة الدرجات المعنوية والكمالات الروحية بعد اجتيازه الدرجات العلمية حيث يمكن نعته (العالم الرباني).يتضح هذا الادعاء من خلال التفحص في سجاياه الاخلاقية وخصائصه التى نشير كما يلي الى ابرزها: ذكر الله، الزيارات، التوسل، الزهد والتقوى، التواضع.

المكانة الاجتماعية

كان العلامة المجلّسي يحظى بنفوذ كبير بين الناس حيث استطاع ان يوجه الناس من الخمارات والمقاهي نحو المساجد بعلمه الغزير ونفوذه المعنوي وبيانه الساحر.. وكان للعلامة ايضاً" نفوذ واسع بين السلاطين الصفويين.

سلوكه العلمي

كان للعلامة المجلسي اسلوبا" معتدلا" بين الاصولية والإخبارية. رغم أنه كان متحدثا"كبيرا"، كما كان يهتم اهتماما خاصا" بالعلوم العقلية.

لقب (العلامة)

لقد نال العلامة محمد باقر المجلسي هذا اللقب ذو الفخر من الشخصيات الكبيرة مثل وحيد بهبهاني والعلامة بحر العلوم والشيخ أعظم أنصاري.

شيخ الاسلام فى أصفهان

لقد تم تعيين العلامة المجلسي سنة ۱۰۹۸ بمنصب شيخ الاسلام في اصفهان من قبل الشاه سليمان الصفوي. إن لقب شيخ الاسلام كان أعلى واهم منصب ديني وتنفيذي في ذلك العصر. لقد كان قاضيا" وحاكما" فى النزاعات والدعاوى. وقد تولى هذه الوظيفة المهمة حتى نهاية حياته.

الأساتذة

بعض الأساتذة والمشايخ الذين نقلوا عن العلامة:

۱- والده محمد تقى المجلسي حيث كان استاذا" للعلامة في العلوم النقلية.

۲- المرحوم آقا حسين خوانساري ابن آقا جمال ،كان استاذ العلامة فى العلوم العقلية.

اما المشايخ:

۳- مولا محمد صالح مازندراني .

۴- ملا محسن فيض كاشاني .

۵- سيد على خان مدني صاحب الشرح المعروف للصحيفة السجادية.

۶- الشيخ الحر العاملي مؤلف كتاب وسائل الشيعة.

التلامذة

إن أكثر من ألف طالب وتلميذ كانوا ينهلون من دروس العلامة المجلسي حيث كان العلامة يمنح تلامذته اجازات كثيرة ايضا".

بعض تلامذة العلامة:

۱- السيد نعمت الله الجزائري.

۲- جعفر بن عبدالله كمره اي اصفهاني.

۳- زين العابدين بن الشيخ الحر العاملي.

التأليفات

ان العلامة المجلسي كان يحظى بعمر مبارك جدا" حيث كتب اكثر من مئة كتاب باللغة الفارسية والعربية خلال ۷۳ سنة من عمره و إن كتاب (بحار الأنوار) هو أحد العناوين فقط ويضم ۱۱۰ مجلدات وكتاب آخر هو (مرآة العقول) يضم ۲۶ مجلدا". وينسب اليه أيضا" ۴۰ كتابا" ايضا".

بعض كتب العلامة

۱- بحار الأنوار، وهى مجموعة كبيرة روائية تأريخية حيث تضم تفاسير كثير من آيات القرآن الكريم.

۲-مرآة العقول، شرح الكافي ثقه الاسلام الكليني فى ۲۶ مجلد.

۳- ملاذ الأخبار، شرح التهذيب للشيخ الطوسي فى ۱۶ مجلد.

۴- الفرائد الطريفة، شرح الصحيفة السجادية.

۵- شرح الأربعين حديث، و هو افضل الكتب فى هذا المجال.

۶- حق اليقين، حول الاعتقادات وكتب باللغة الفارسية. ان للعلامة كتب كلامية اخرى ايضا".

۷- زاد المعاد، فى الأعمال وادعية الشهور (باللغة الفارسية).

۸- تحفة الزائر، فى الزيارات (بالفارسية).

۹- عين الحياة، فى المواعظ والحكم مستخرجة من الآيات و روايات المعصومين عليهم السلام .

الوفاة

لقد إنطفأت شمعة عمر العلامة المجلسي بعد أن اضاءت بغزارة ۷۳ سنة وذلك فى ليلة ۲۷ شهر رمضان سنة ۱۱۱۰ هجرية في مدينة اصفهان و حرم العالم من منهل هذا العالم العزيز.

شهداء الفضيله

الشهيد
الشيخ محمدتقي الجواهري

الشيخ أبو أمين، محمّد تقي ابن الشيخ عبد الرسول ابن الشيخ شريف الجواهري. والدهالشيخ عبد الرسول وجده الشيخ عبدالحسين، نجل صاحب الجواهر.

ولد في السادس والعشرين من شهر رمضان ١٣٤٣هـ. في النجف الأشرف بالعراق. بدأ بدراسة العلوم الدينية في مسقط رأسه، واستمرّ في دراسته حتّى نال درجة الاجتهاد، وصار من العلماء في النجف، كما قام بتدريس العلوم الدينية فيها.

إرتقى الشهيد سلّم العلم وبلغ في ذلك مراتب متقدمة رأى فيه البعض أهليته للمرجعية بعد السيد أبي القاسم الخوئي، لسعة علمه وتقواه وما وهبه الله من فضائل أخلاقية. كانت حلقاته الدراسية التي تعقد في مسجد الجواهري المعروف، تكتظ بالتلاميذ وتغص بطلاب العلم والمعرفة.

وإضافة إلى تضلعه في الفقه والعلوم الحوزوية فقد كان يتمتع بشاعرية فياضة وله ديوان مليء بالأشعار الجميلة، اضطرت أسرته بعد اعتقاله إلى اتلافه خوفا من السلطات الظالمة؛ ذلك أن اشعاره كانت مفعمة بالحماسة وروح المقاومة التي تدعو إلى مواجهة كلّ أشكال الانحراف والفساد.

من أساتذته

والده الشيخ عبد الرسول، السيّد محسن الحكيم، السيّد أبو القاسم الخوئي، الشيخ حسين الحلّي، السيّد محمّد تقي بحر العلوم، الشيخ محمّد رضا آل ياسين، الميرزا محمّد باقر الزنجاني ومن تلامذته؛ نجلاه الشيخ حسن والشيخ محمّد، السيّد حسين بن محمّد تقي بحر العلوم، السيّد جواد الشهرستاني، الأخوان السيّد جعفر مرتضى العاملي والسيّد محمّد، الشيخ عبد الرحيم آل فرج الله، الشيخ محسن الأراكي، السيّد مصطفى جمال الدين، الشيخ عبد الهادي الفضلي، الشيخ عبد الأمير قبلان و....

من أقوال العلماء فيه

١. قال الشيخ آل محبوبة في ماضي النجف: «ربّاه والده تربية أهل العلم، وهذّبه تهذيب أهل الكمال، فهو مع صغر سنّه يحمل أخلاقاً فاضلة، وخلالاً حميدة، يضمّ مع حُسن خُلقه الفضل والأدب، فينظم الشعر ويُحسن صوغه».

٢. قال الشيخ آقا بزرك الطهراني في الطبقات: «عالم أديب».

٣. قال الشيخ الخاقاني في شعراء الغري: «عالم فاضل، وأديب بارع، وشاعر مطبوع... والمترجم له شابّ يحمل عقل الشيوخ، وإنسان يتّصف بصفات الإنسان الصحيح».

٤. قال الشيخ محمّد هادي الأميني في المعجم: «عالم فاضل مجتهد جليل، شاعر نحرير، من أجلّاء المشتغلين في الفقه والأُصول».

من مؤلّفاته

غاية المأمول من علم الأُصول (تقرير درس السيّد الخوئي في الأُصول) (مجلّدان)، مدارك العروة الوثقى، الجواهر السنية في الأُصول العقلية، نتائج العقول في علم الأُصول، منظومة في فروع العلم الإجمالي، درر الجواهر (ديوان شعر)، رسالة في الرضاع.

اعتقاله

أُعتقل ﷺ من قبل أزلام النظام البعثي في العراق عام ١٤٠٠هـ، وقام السيّد أبو القاسم الخوئي بوساطة لإطلاق سراحه، لكن أزلام النظام أرسلوا له شريطاً مسجّلاً بصوت الشيخ الجواهري جاء فيه: لا يجوز التعاون مع البعثيّين؛ لأنّهم أنجس وأقذر من اليهود.وانقطعت أخباره، وبعد سقوط الطاغية صدام المجرم عام ١٤٢٣هـ، تبيّن أنّه قد نال شرف الشهادة في فترة الاعتقال.

استشهاده

استُشهد ﷺ في سجون الطاغية صدام المجرم، ولم تُسلّم جثّته إلى أهله، ولم يُعلم مكان دفنه.

مقالة

ماذا يعرف العالم عن أهل البيت عليهم السلام ؟

▫ الشيخ حسن الصفار

يجب أن نتساءل أولاً: ماذا يعني أهل البيت عليهم السلام للعالم المعاصر؟ وهل في حياتهم وتراثهم ما يشكل إضافة جديدة لمعارف البشر، أو يقدم خدمة مفيدة لقضايا الإنسانية اليوم؟

إن كل باحث منصف في حياة أهل البيت وتراثهم، يمكنه القول بجزم ويقين: أن أهل البيت يشكلون قيمة معنوية ومعرفية كبرى للمجتمع البشري في مختلف العصور.

فهم مصدر إلهام فكري معرفي، بما تميّزت به شخصياتهم من قوة إدراك وصفاء ذهن، ومن إطلاع دقيق على معالم الدين وشرائعه، حيث اصطفاهم الله تعالى لحمل دينه ورسالته.

إن تراث أهل البيت المعرفي لا ينحصر في القضايا الدينية التي تهم المجتمعات الإسلامية خاصة، بل لهم عطاء علمي يثري معارف البشرية في مختلف المجالات، كعلوم الطبيعة، والعلوم الإنسانية، كما أن سيرتهم الكريمة، وتعليماتهم الهادية، تقدّم أفضل دعم للقيم الإنسانية النبيلة التي تتطلع إليها المجتمعات البشرية، كاحترام حقوق الإنسان، والتزام العدل، ورعاية السلم الاجتماعي، وضمان الحريات. وإذا كان الرأي العلمي والموقف الأخلاقي يفرضان احترامهما على ساحة المجتمع الإنساني، بغض النظر عن التصنيف العرقي والديني، فإن أهل البيت عليهم السلام يتبوأوون المواقع المتقدمة على هذين الصعيدين بكل جدارة واقتدار.

هذا على المستوى العالمي، أما على مستوى الأمة الإسلامية، فإن أهل البيت يشكلون قيمة دينية لا يتجاهلها أحد من المسلمين، حيث أمر الله تعالى بمودتهم ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، ونص الوحي الإلهي على طهارتهم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وأوصى رسول الله برعايتهم «أذكركم الله في أهل بيتي» وقرن الصلاة عليهم بالصلاة عليه في تشهد الصلاة.

ولأهل البيت عليهم السلام موقعيتهم العلمية البارزة، على مستوى الفكر والتشريع الإسلامي، حيث تتلمذ عليهم وروى عنهم كبار أئمة المذاهب وعلماء الأمة. وبالتالي فإنهم يعنون للأمة قيمة دينية وعلمية كبرى.

وفي خصوص الدائرة الشيعية فإن أهل البيت عليهم السلام هم المرجعية الدينية المعتمدة بعد رسول الله ، إليهم ينشّدون، وبهم يتمسكون، وعنهم يأخذون معالم الدين، وآراؤهم لديهم حجة شرعية لأزمة.

انطلاقاً من هذه القيمة التي يمثلها أهل البيت عليهم السلام على المستوى الإنساني العام، وعلى الصعيد الإسلامي الخاص، وفي الدائرة الشيعية الأخص، فإن في سيرة أهل البيت وتراثهم ما يعني الشيء الكثير للمجتمعات البشرية المعاصرة.

التعرف على أهل البيت عليهم السلام

إن استفادة العالم من أهل البيت عليهم السلام، ترتبط بمدى توفر فرص التعرف على سيرتهم وتراثهم، لقد عاش أئمة أهل البيت عليهم السلام في أوساط الناس حوالي ٢٥٠ سنة، قدموا خلالها عطاهم العلمي، وتجربتهم الاجتماعية، لكن هذا العطاء وتلك التجربة لا تمتلك حضوراً مناسباً في ساحة المعرفة العالمية. حيث لا تزال شخصيات أهل البيت مجهولة في الأوساط العلمية، ولا يزال تراثهم محدود التداول والانتشار.

ففي الجامعات العالمية المعروفة بتخصصاتها المختلفة، وفي معاهد الأبحاث والدراسات المشهورة، لا تجد حضوراً لأسمائهم، ولا تناولاً لآرائهم وأفكارهم، ولا اهتماماً بدراسة حياتهم وتجربتهم.

وعلى مستوى الثقافة والإعلام العالمي لا تجد ذكراً لأئمة أهل البيت، ولا حديثاً عن نظرياتهم، ولا استشهاداً بسيرهم ومواقفهم.

وحين أصدر الباحث الأمريكي (مايكل هارت) كتابه عن أكثر الأشخاص تأثيراً في التاريخ، والذي تضمن قائمة من مائة شخصية دينية وعلمية وسياسية، كان على رأسها رسول الإسلام محمد ، فإن هذا الباحث لم يثبت ضمن قائمته أي شخصية من أئمة أهل البيت عليهم السلام .

ولا يقتصر هذا الغياب لذكر أئمة أهل البيت على الساحة العالمية، فحتى ضمن الدائرة الإسلامية العامة ليس لأهل البيت حضور يتناسب مع مكانتهم وموقعيتهم الدينية والعلمية، فبينما تدرس مذاهب بعض من تتلمذوا على أيديهم، لا تعترف أغلب الجامعات الإسلامية والمعاهد الدينية بمذهب أهل البيت، ولا تقر دراسته كسائر المذاهب الإسلامية. أما وسائل الإعلام في البلاد الإسلامية والعربية فنادراً ما تتحدث عن أحد من أئمة أهل البيت، أو تستذكر تاريخ حياته.

ومع ما تتميز به المجتمعات الشيعية من اهتمام بالغ بشأن أهل البيت عليهم السلام، انطلاقاً من الولاء الديني والانتماء المذهبي، إلا أن هذا الاهتمام غالباً ما يتركز في المظاهر العاطفية، وضمن برامج وأساليب تقليدية متوارثة.

إحياء الأمم لشخصياتها

عندما نتساءل عن أسباب هذا الغياب أو التغييب لذكر أهل البيت، ولحضور شخصياتهم ومعارفهم على الساحة العالمية والإسلامية، فإن أول ما يتبادر إلى الأذهان، خاصة في أوساط المحبين لأهل البيت عليهم السلام، هو وجود أسباب سياسية تاريخية، تعود لموقف السلطات الحاكمة في عصور الأئمة عليهم السلام، والتي كانت ترى في ظهور مكانة أهل البيت وانتشار معارفهم خطراً على نفوذها ومصالحها، وما ترتب على تلك المرحلة السابقة من حصول الانقسامات المذهبية والتوجهات التعصبية.

لكن هذا العامل السياسي يقدم جزءاً من التفسير والتحليل، أما الجزء الآخر والذي أراه أكثر أهمية، فيتمثل في جانب القصور والتقصير في إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، من قبل الموالين لهم والمهتمين بشأنهم.

فالجهود التي بذلت في دراسة حياة أهل البيت عليهم السلام، ونشر تراثهم ومعارفهم، تعتبر ضئيلة محدودة، قياساً إلى عظمة أهل البيت، وثراء عطائهم، ومقارنة بما تؤديه الأمم والمجتمعات الناهضة تجاه شخصياتها ورموزها.

إن الشاعر المسرحي الإنجليزي وليم شكسبير (١٥٦٤-١٦١٦م) والذي أنتج في حياته ٣٧ مسرحية إلى جانب مجموعة من القصائد، تنشر عنه في كل سنة أكثر من ٥٤٧٥ بحثاً ومقالة ، كما يتواصل إصدار الطبعات الجديدة من مسرحياته من قبل أعرق الجامعات البريطانية، حيث بدأت منذ مطلع الثمانينيات جامعتا كمبردج وأكسفورد في إصدار طبعات جديدة لأعمال شكسبير، تظهر آخر ما توصلت إليه الدراسات النصيّة التي يدعمها استخدام الحاسوب.

وفي عام ١٩٣٠م تأسست في واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية مكتبة فولجر الخاصة بشكسبير، وتضم أهم مجموعة من الكتب عن شكسبير، وأهم مجموعة من الكتب عن الحضارة البريطانية بين عامي ١٤٨٥ و١٧١٥م. وفي المكتبة أكثر من ٢٢٥٠٠٠مجلد، أسسها هنري كلاي فولجر وهو رئيس سابق لشركة ستاندارد أويل بنيويورك، ترك ثروته وقفاً على إنشاء المكتبة، والتي يفد إليها دارسون من معظم أرجاء العالم.

أما الشاعر الإنجليزي الآخر اللورد بايرون (١٧٨٨-١٨٢٤م) فقد ظهر عنه لحد الآن أكثر من ٣٠٠ كتاب في سيرة حياته وعلاقاته الخاصة، منها كتاب سلي مارجانت الذي صدر في الخمسينيات بثلاثة مجلدات، وقد ولد اللورد بايرون في لندن وتوفي في اليونان، وكانت حياته العائلية والسلوكية مضطربة جداً، حيث لم تدم علاقته مع زوجته أكثر من سنة واحدة، وارتبط بعلاقة غير شرعية مع أخته غير الشقيقة (أوغستاليف) إلى جانب علاقات أخرى منحرفة.

ونجد في هذا السياق مدى الاهتمام الذي نالته شخصية الأديب اللبناني المسيحي أمين الريحاني (١٨٧٦-١٩٤٠م) حيث يشير قسم الأرشيف والوثائق في متحف الريحاني في الفريكة . لبنان، إلى أن سبعة وستين كتاباً وضع عن الريحاني، وأكثر من ٦٧٥٠ مقالاً أو مرجعاً نشر عنه، وأكثر من ألف ومائة كتاب خصص عنه فصلاً أو جزءاً من فصل، وهذه المراجع نشرت في أربع وأربعين دولة، وفي ست وعشرين لغة، وذلك حتى نهاية العام ١٩٩٥م أي بعد نيف ونصف قرن من رحيله في مقابل حجم الاهتمام بهذه النماذج من الشخصيات في مجتمعاتها، والذي لا يمثل أرقاماً قياسية، فهناك شخصيات أخرى قد يكون حظها أكبر من الاهتمام والعناية، لكن لو قارنا ذلك بمستوى الكتابات والبحوث عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، مع فارق الموقعية والمكانة التي نعتقدها لهم، ومع سعة المساحة الزمنية للكتابة عنهم، لرأينا بوضوح عمق حالة القصور والتقصير في إحياء أمر أهل البيت، والتعريف بحياتهم وتراثهم.

ماكتب عن أهل البيت

لقد أنجز الباحث العراقي الشيخ عبد الجبار الرفاعي، موسوعة استقصى فيها عناوين المؤلفات والبحوث التي كتبت عن أهل البيت عليهم السلام، عبر أربعة عشر قرناً، (بيلوغرافيا) تحت عنوان (معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت) طبعت في اثني عشر مجلداً. وكشفت عن الأرقام التالية بالنسبة لعدد الكتب والمقالات عن كل واحد منهم:

عن فاطمة الزهراء عليها السلام : ٥٤٦
عن الإمام علي : ٤٩٥٦
عن الإمام الحسن بن علي : ٢٠٥
عن الإمام الحسين بن علي : ٣٢١٥
عن الإمام السجاد : ٣٩٩
عن الإمام الباقر : ٦٩
عن الإمام الصادق : ٣٣١
عن الإمام الكاظم : ٢١١
عن الإمام الرضا : ٦٥١
عن الإمام الجواد : ٦٢
عن الإمام الهادي : ٧٩
عن الإمام العسكري : ٦٦
عن الإمام المهدي : ١١٤٥

إنها أرقام متواضعة خاصة بالنسبة لبعض الأئمة، كالإمام محمد الباقر ، والذي عرف عنه التضلع في العلم وعمق المعرفة، حتى لقب بالباقر، لأنه بقر العلم بقراً، أي شقه وعرف مكنوناته، والذي أرسى قواعد مدرسة أهل البيت العقدية والفقهية، لكن ما أحصاه هذا المعجم حول حياته وتراثه لم يتجاوز ٦٩ كتاباً ومقالة. وكذلك الحال بالنسبة للإمام محمد الجواد ٦٢ والإمام الهادي ٧٩ والإمام العسكري ٦٦.

هذا من ناحية الكم أما من ناحية المستوى والنوعية فإن قسماً كبيراً من هذه الكتابات لا تتصف بالعمق العلمي، والتحليل الجاد، لسيرة أهل البيت وآرائهم ومواقفهم، بل يغلب عليها السرد التاريخي أو الطرح العاطفي بذكر الفضائل والمصائب.

إن جوانب أساسية كثيرة من سيرة أهل البيت وتراثهم لا تزال مجهولة، ولم تسلط عليها الأضواء الكافية من البحث والتحقيق، لقد اهتم فقهاء الشيعة بدراسة وتمحيص ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام فيما يرتبط بالمسألة الفقهية، أما سائر الجوانب فلم تحظى بالاهتمام المطلوب.

لقد كتب بعض علماء الشيعة الأقدمين في سيرة أهل البيت عليهم السلام وتاريخ حياتهم كالشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣هـ) في كتابه (الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد)، والشيخ الصدوق (٣٠٦-٣٨١هـ) في (عيون أخبار الرضا)، لكن الاهتمام بهذا الجانب لم يتواصل من قبل كبار العلماء في العصور اللاحقة إلا نادراً كالجهد الموسوعي الذي قام به الشيخ المجلسي (١٠٣٧-١١١١هـ) في (بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار).

وقلّ أن تجد دراسة تاريخية ضمن قواعد البحث العلمي عن حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام والظروف الاجتماعية التي عاصروها، مع ما لذلك من أهمية بالغة لمعرفة آرائهم ومواقفهم، والتي لا يمكن فهمها بالشكل الصحيح إلا ضمن سياقها الاجتماعي، ومعرفة الملابسات والظروف المحيطة.

أما تراث أهل البيت وعطاؤهم المعرفي، فرغم الجهود المشكورة التي قام بها العلماء السابقون في جمع ما ورد عنهم من أحاديث وروايات، إلا أنها بحاجة بعد تمحيص أسنادها إلى دراسة وتحليل، من قبل أصحاب التخصصات المختلفة، وعلى ضوء التجارب العلمية المتقدمة في كل اختصاص، لنتعرف على ما قدمه أهل البيت عليهم السلام للبشرية من آراء وأفكار في مختلف المجالات والميادين.

إن تعرّف العالم المعاصر على أهل البيت يستلزم تقديم سيرتهم وتراثهم بلغات العالم الحيّة، اللغات الرسمية لحقول العلوم والتكنولوجية والمعرفة العالمية، كالإنكليزية والفرنسية والألمانية واليابانية وغيرها.

وهنا يظهر العجز الشديد والقصور الواضح، فما هو متوفر من الكتابات عن حياتهم وتراثهم ينحصر في اللغة العربية والفارسية.

وقد أشار المحقق الشيخ جعفر السبحاني إلى بعض هذه الجوانب من القصور والتقصير في عرض سيرة أهل البيت وتراثهم، نقتطف من كلامه الفقرة التالية:

«يجب أن نؤكد بأنّ حياة الأئمة والأولياء الإلهيين شأنها شأن عالم الطبيعة، فيها جوانب عديدة مهما اكتشفت وكتب عنها، فستظل هناك جوانب مجهولة تحتاج لمن يكتشفها ويميط لثام الغموض عنها.

وفضلاً عن ذلك انّ أكثر ما كتب حول الأئمة فهو ينحصر في تجميع فضائلهم ومناقبهم ومعجزاتهم وبالتالي في نقل أحداث حياتهم بصورة جافة بعيدة كل البعد عن التحليل، ثم إنّ الكتب التحليلية التي يمكن أن تلبّي رغبات الباحثين والمحقّقين المعاصرين قليلة جداً، وانّ بعضاً منها لا يتمتع من ناحية طريقة كتابتها وبيانها بالمستوى المطلوب. هذا ومن المؤكد انّه قد أُلّف وكتب عن بعض الأئمة مثل أمير المؤمنين وسيد الشهداء الحسين بن علي باللغة العربية . وربما الفارسية . بما فيه الكفاية، غير انّ هناك فراغاً كبيراً للكتب التحليلية العميقة والجامعة فيما يتعلق ببقية الأئمة وحياتهم ويجب . للأسف . الاعتراف بهذه الحقيقة المرة، وهي انّه ليس الناس العاديون هم الذين يجهلون حياة الإمام الجواد أو الإمام الهادي أو الإمام العسكري عليهم السلام السياسية والأخلاقية والعلمية فقط، بل انّ أغلب الخطباء والكتّاب يفتقدون المعرفة الكافية بهم أيضاً.

وثانياً: انّ نوع الحياة التي كانوا يعيشونها، وكيفية مواقفهم السياسية. الاجتماعية يكون واضحاً أكثر عندما نلم بظروفهم الاجتماعية والسياسية والثقافية الخاصة التي يعيشون فيها، وذلك انّنا نعرف بأنّ الأئمة الأطهار كانوا يقيمون طريقة حياتهم الاجتماعية، ومواقفهم السياسية، وطبيعة نضالهم، على أساس من المحاسبات الدقيقة للظروف والأوضاع السائدة في عصرهم، وتقييم الإمكانات والمقتضيات والموانع، وتناسباً مع نوع المواجهة مع أعداء الإسلام. وعليه ما دمنا لم نتعرف على الأوضاع والظروف الخاصة التي كانوا يعيشون فيها آنذاك، فلن يكون لسيرة الأئمة وحياتهم أي مفهوم ومعنى دقيق وواقعي.»

إن احتفاءنا بمناسبات ذكريات أهل البيت عليهم السلام يجب أن تبعثنا لتحمل المسؤولية تجاه إحياء ذكرهم وأمرهم على مستوى العالم، إرضاء لله تعالى، وخدمة للبشرية، وتنفيذاً لتوجيهات أهل البيت عليهم السلام، فقد ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا : «أحيوا أمرنا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا. قلت: كيف يحي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس فإن الناس لو عرفوا محاسن كلامنا لاتبعونا.»

ثبتنا الله على ولاية النبي وآل بيته، ووفقنا للإقتداء بهم، والسير على طريقهم، وحشرنا يوم القيامة في زمرتهم، ورزقنا شفاعتهم، إنه أرحم الراحمين.

المصدر: مكتب الاعلام الاسلامى لحوزة قم العلمية (فرع إصفهان)

نرحب بآراء القراء الأعزاء
عبر البريد الالكتروني التالي
Alafagh1444
@gmail.com

صدر حديثاً

محرِق القلوب والأكباد

صدر حديثاً عن قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية في العتبة العباسية، كتاب «مُحرِق القلوب والأكباد».

وكالة أنباء الحوزة - ويشرف على الإصدار مركزُ التراث الإسلامي التابع لقسم شؤون المعارف الإسلامية.

وتضمّن الإصدار الجديد بين طيّاته ستّة فصول، تناول فيها الكاتب أهمّ مصائب أصحاب الكساء الخمسة عليهم السلام، وعلى وجه الخصوص مصيبة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

اعتمد المؤلّف في الكتاب على أمّهات المصادر، وذكر عيون الحوادث، سالكاً في كلّ ذلك مسلك الاختصار، تخلّصاً من التطويل الذي يهتمّ بالتفاصيل بشكلٍ قد يمنع تسلسل سرد الحوادث والمصائب، وبالتالي قد يمنع توقّد الحزن المُحرِق للقلوب.

وألّف الكتاب عَلَمٌ من أعلام الإمامية في القرن الحادي عشر الهجري، وهو الفيلسوف علي قلي ابن الأمير قرجغاي خان التركماني الخلخالي الأصفهاني القزويني (المتوفّى سنة ١٠٩١هـ)، وقد حقّقه كلٌّ من الشيخ مهدي العسكري والسيد سعيد المعلّم.

السّؤال السّابع: إنّ النّصّ بمقتضى ثباتِه وكمِّه محدود، ولكن الواقع متّسع ومتغيّر، فكيف يكون في قدرة هذا النّصّ أن يحكم حركة الواقع ويمدّها بما تحتاجه من تشريع؟

النّصوص الشّرعيّة بعضها أو كثيرٌ منها جاء ليعالج موارد جزئيّة وحوادث معيّنة، كأن يطرح السّائل على الإمام عليه السلام سؤالاً خاصّاً عن حالته هو في ظرف معيّن وما إلى ذلك، هناك نصوص هكذا تتكفّل معالجة حوادث جزئيّة وأسئلة خاصّة، وهناك عمومات ومطلقات، منها ما هي مطلقات لفظيّة ومطلقات مقاميّة كما يسمّونها، هذه تعطي قواعد عامّة ذات بعد بعيد وأفق واسع، هذه تخدم جداً حركة التّطوّر، يعني هذه من العناصر التي تعطي الشّريعة الإسلاميّة القدرة على الإجابة على الأسئلة المستجدّة في حدود معيّنة.

هناك نصوص واردة في موارد خاصّة -كما سبق- لكن يستطيع الفقيه المتضلّع أن يستفيد منها كلّيّات عامّة، بمعونة عددٍ من الأمور، منها ما يسمّى بمناسبات الحكم والموضوع، وما يسمّى بمفهوم الموافقة وفحوى الخطاب، ووسائل أخرى عقليّة وعرفيّة.

هناك العناوين الثّانوية التي طرحتها الشّريعة، مثلاً: «رُفع عن أُمّتي ما لا يعلمون، ما اضطروا إليه، ما أكرهوا عليه»، وكذلك عندنا قاعدة لا ضرر ولا ضرار. هذه قواعد مفتوحة تعالج كثيراً من المسائل وتبدّلات الموضوعات والمستجدات.

وعندنا باب التزاحم، فعندي مثلاً حكم بالحرمة وحكم بالوجوب يتزاحمان أحياناً، كأن يكون عندي وجوب إنقاذ غريق مؤمن، ولا يوجد طريقٌ موصل للإنقاذ إلّا أرض مغصوبة يحرم اجتيازها، فعندي حرمة وعندي وجوب، ماذا أفعل هنا وليس عندي طريق ثان لإنقاذ الغريق؟ يأتي الفقيه هنا ليحدّد بعقليّته الفقهيّة طبعاً -وليس من عنده- وبوسائله العلميّة الفقهيّة، وبقدرته الاستنباطيّة، فيتوصّل إلى أنّ وجوب إنقاذ الغريق أهمّ -لأهمّيّة متعلَّقه- من الحرمة بلحاظ متعلَّقها، فيقول يجب عليك إنقاذ الغريق.

مثال آخر: قتل المؤمن حرام. جيش إسلاميّ اختطِف منه من اختطِف أُسر من أسر، العدوّ جعل المأسورين درعاً له في الأمام، هزيمة العدوّ لا تتمّ إلّا بقتل هؤلاء المؤمنين، افرضوا خمسة أشخاص من خيرة المؤمنين، تدرَّع بهم العدوّ، فإمّا أن يُهزم الجيش الإسلاميّ وينكسر الإسلام كسرة كبيرة جداً تذهب بريح الإسلام، أو أن يقتل الخمسة المؤمنون للتوصُّل إلى هزيمة الجيش الكافر! فهنا تزاحم: حرمة ووجوب، وجوب حفظ الإسلام ودرء الخطر عن الإسلام، هذا واجب، وحرام قتل المؤمن، هنا يأتي دور الفقيه ليقول لنا اقتلوا الخمسة وانتصروا على العدوّ الكافر، وديتهم من بيت المال.

إذاً فباب التّزاحم أيضاً يحلّ لنا بعض المشاكل.

كما سبق: تغيّر في الموضوع، فكثيراً ما يحدث تغيّر في الموضوع، مثلاً: معروف بالحكم الأوّليّ أنّ من ملك الأرض ملك معدنها، لو استخرج معادن من الأرض التي يملكها فإنّه يملك هذه المعادن، فكمّا ملك الأرض فإنّه يملك ما في باطنها، هذا حكم ثابت، كانت القدرة على استخراج المعدن قدرة محدودة بحيث تجعل المستخرِج غنيّاً إلى حدٍّ ما ولكن لا يؤثّر على الآخرين وعلى الأمّة.

أمّا اليوم فهناك شركات تستطيع أن تستخرج معادن بلد بكامله، فهذه عندما تشتري أرضاً وتملكها وتستخرج معادنها التي تحتاجها الأمّة وهي ملك للأمّة فماذا يحدث؟ ينهدم اقتصاد الأمّة! ويصير المال بيد قلّة، فتفتقر الأمّة.. يضطرب النِّظام، فهنا عندي مسألة وجوب حفظ النِّظام، ووجوب حفظ اقتصاد الأمّة، وعندي حكم يقول إنّ هذا له أن يملك، فهنا يحدث تزاحم: تمليكه المعادن معناه ماذا؟ معناه سقوط مصلحة الأمّة، وانهدام مصلحة الأمّة، يأتي التّزاحم فينقذ لي الموقف، فيجعل الحاكم الشّرعيّ موقفه، فيقول له: لا، لا تملك، ليس لك هذا!

تأتي صلاحيّات وليّ الأمر المعطاة له من قبل الشّريعة وحدودها(وهي مختلَف في مقدارها).

وعندنا ما يسمّى بالأصول العمليّة كأصل البراءة مثلاً. فهذه كلُّها وسائل لمواجهة التغيُّر ومستجدّات التطوّر في أوضاع الحياة، وهذه تمثّل عدّة بيد الفقيه يستطيع من خلالها أن يواجه مستجدّات حركة التطوّر.

من أسئلة الجمهور: هل يتحوّل الكذب إلى حسن والصّدق إلى قبيح، فمثلاً عندما يُسأل عن شخص يريد قتله فهل الصّدق هنا يكون محرّماً؟

جواب سماحة الشّيخ: هنا يأتي العنوان الأوّليّ والعنوان الثّانويّ، الصّدق واجب والكذب حرام، وتأتي حالة التّزاحم بين صدقي وإهلاك المؤمن، بين أنّه يجب عليّ الصّدق وبين أنّه يحرم عليّ أن أُعين على قتل المؤمن، فصدقي يمثّل إعانة على قتل المؤمن، أيُّهما أهمّ؟ يأتي أنّ المعونة على قتل المؤمن حرمته بشعة جداً، والمفسدة هنا تطغى على مصلحة الصّدق، فهنا لا يأتي الصّدق وإنّما يأتي الكذب. ثم إنّ هذا على خلاف العدل، أي إذا كان في الكذب ظلم فقتل المؤمن ظلم أكبر.

سؤال في نفس السّياق -سماحة الشّيخ-، عندما يُسأل الشّخص عن شخص آخر بفرض الزواج فلا بدّ من تحديد البيانات الشخصيّة الحقيقيّة وترتفع الغيبة هنا، فهل في الأخلاق والفضائل والرذائل ثوابت ومتغيرات أيضاً؟

جواب سماحة الشّيخ: الأخلاق ثابتة، والأخلاق قيَم فطريّة منشدّة ومربوطة بها النّفس، وأصل الأخلاق العدل، فالأخلاق لا تتغيّر، هذه أصولٌ فطريّة من بناء فطرة الإنسان وكينونة الإنسان فهي لا تتغيّر، والأحكام الأخلاقيّة المراعية لهذه الأصول والقائمة عليها تبقى ثابتة، إلّا أنّه يأتي فيها التّزاحم وما إلى ذلك.

ما الدّليل على أنّ الفقيه مُلزم باكتشاف حكم كلّ مسألة مستجدة؟

جواب سماحة الشّيخ: طبعاً ما دام قادراً فهو ملزم، فإذا تصدّى للمرجعيّة أو احتاج النّاس إليه وإن لم يكن مرجعاً، والمراجع -فرضاً- ما التفتوا إلى هذا الجانب، وهو ملتفت إلى مسألة من المسائل التي إذا لم يُجِب عليها يتضرّر الإسلام، فيجب عليه أن يجيب عليها، أي عليه أن يبحث ويبذل وسعه ويستنفذ طاقته حتى يستنبط الحكم.

إذا كانت الشّريعة فيها كلّ الأجوبة التي يحتاج إليها النّاس، فأين باب الردّ إذاً؟ قوله عليه السلام: «أرجه حتى تلقى إمامك».

جواب سماحة الشّيخ: نعم.. ذاك في ظرف وجود الإمامg، إذا كان يمكن أن يُحمل على طلب الحكم الواقعيّ. الأحكام التي عندنا الآن تسمّى أحكاماً ظاهريّة، وجوب الصلاة مثلاً هو حكم واقعيّ فإنّنا نعلم يقيناً أنّ الإسلام فيه وجوب الصّلاة فهو أمرٌ واقعيٌّ، لكنّ كثيراً من الأحكام الموجودة في الرّسائل العمليّة نسمّيها أحكاماً ظاهريّة، أي أنّ الفقيه نفسه والمجتهد نفسه لا يستطيع أن يجزم لك أنّ هذا هو حكم الله في الواقعيّ، لكنّه هو الحكم المعذِّر لك، أي حسب وظيفتك الآن أن تتّبع هذا الحكم.

ما هو رأيكم سماحة الشّيخ في مصطلح «منطقة الفراغ» في الشّريعة؟

جواب سماحة الشّيخ: الأحكام الشّرعيّة فيها ملزِم وفيها غير ملزِم، ملزِم بوجوب الفعل أو بوجوب التّرك، فالحرمة -مثلاً- حكم ملزِم، والوجوب حكم ملزِم، أمّا منطقة الفراغ فهي خارج هذا النّوع من الحكم ولا تمسّ هذا الحكم. منطقة الفراغ مساحتها مساحة المباح بمعناه الأعمّ الذي يشمل المستحبّ والمكروه، والمباح بالمعنى الأخصّ الذي هو على حدٍّ سواء بين أن أفعل أو لا أفعل.

هناك ما يسمُّونه إباحة اقتضائيّة وإباحة غير اقتضائيّة، ومنطقة الفراغ تكون في الإباحة غير الاقتضائيّة، فمثلاً تعدُّد الزّوجات في الإسلام مباح، لكنّ أصل التّشريع له مقتضيه، هناك مصلحة اقتضت أن يشرّع الإسلام تعدّد الزّوجات، أمّا أن أجلس الآن أو أقف فهذه إباحة غير اقتضائيّة، فهما على حدٍّ سواء إذا لم أكن متضرّراً من الجلوس أو من الوقوف، أو كأن يخرج الشخص من بيتهم الآن أو لا يخرج؟ فإذا لم يوجد موجِب آخر فهو طبعاً مباح له أن يخرج أو لا يخرج فهما على حدّ سواء، لأنّه ليس وراءها مصلحة خاصّة، أي أنّ تشريعها ليس قائماً على مصلحة خاصّة.

▫ حوار/ الجزء الثاني

الثّابت والمتغيّر في الشّريعة

في حوار مع آية‌الله الشيخ عيسى أحمد قاسم

فمنطقة الفراغ مساحتها مساحة المباح، والتصرّف في المباح ليس من مسؤوليّة الفقيه، يعني الأمر بالمباح أو النّهي عن المباح ليس من وظائف الفقيه، بل من وظائف وليّ الأمر -عندنا فقيه وعندنا وليّ أمر، فالفقيه بما هو وليّ أمر يملأ منطقة الفراغ، والفقيه بما هو فقيه يواجه المتغيّرات بالوسائل التي مرّ ذكر بعضها-، فالشّهيد الصدر رحمه الله -مثلاً- الذي يقول بمنطقة الفراغ لا يقتصر في مواجهة التغيير على منطقة الفراغ، فبما هو فقيه فإنّ له وسائله الأخرى التي تجعله يستنبط أحكاماً لحوادث مستجدّة من خلال وسائل أخرى، أمّا كونه وليّ أمر كأن يصبح أحدهم وليّ أمر، سواء قلنا فقيها أم غير فقيه -لو اعترفنا له بولاية الأمر-، فهذا يملأ منطقة الفراغ بأوامر ولائيّة، بأحكام ولائيّة، من أمرٍ ونهي، فيأتي مثلاً لهذا الذي يريد أن يحيي الأرض ذات المعدن الغزير ويستخرج معدنها، فيقول له: لا، رغم أنّ هذا مباح له، والنّاس مسلّطون على أموالهم!

أو أنّ شخصاً له بيت يقع في وسط شارع يُراد إنشاؤه لحاجة ضروريّة إلّا أنّه غير موافق على بيعه، فهو مباح له أن يبيعه أو لا يبيعه، كيف لوليّ الأمر أن يحمله على أن يبيع؟ بأيّ وجه؟ هذه هي منطقة الفراغ، يعني يكتشف الفقيه أنّ الشارع المقدّس أعطى وليّ الأمر إذناً وصلاحيّة في أن يملأ منطقة الفراغ بما يحافظ على مصلحة المسلمين، بما يحافظ على النّظام، بما يحافظ على كيان الأمّة، فيأتي فقيه يقول له بِع بيتك، فهذا أمرٌ بماذا؟ أمرٌ بمباح، لأنّ بيعه بيته وعدم بيعه بيته مباح أو لا؟ طبعاً مباح، فعندما يقول له بِع بيتك فهل أمره بواجب أم بمستحب أم أمره بحرام؟ أمره بمباح.

ولأنّ أمر ولي الأمر واجب الطّاعة (حيث تعتمد نظرية ملء الفراغ على ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فهذا يأتي بالنِّسبة لمقام ولاية الأمر) فهذا وليّ أمرٍ شرعيّ سواء اشترطنا الفقاهة أم لم نشترط الفقاهة، أمرني بمباح، ومن خلال أمره يتوجّب عليّ ماذا؟ أن أمتثل، فهذا ملء لمنطقة الفراغ.

الرسول صلى الله عليه وآله بحسب ما وصل إليه الفقهاء مارس دورين، دور تبليغ الحكم الإلهيّ ودور الأحكام الولائيّة، حيث أعطى أحكاماً ولائيّة بالعنوان الثّانويّ لمعالجة حالات طارئة، فتصرّف وليّ الأمر في نظريّة منطقة الفراغ محدود بالتصرّف في المباح، بأن يوجبه أو يحرّمه، يأمر به أو ينهى عنه، فينشأ وجوب على المخاطب أو تنشأ حرمة في حقّه، هذا ملخّص موضوع منطقة الفراغ.

أحسنتم شيخنا. ذكرتم أنّ الأحكام لا تتبدّل ولا تتغيّر في عالم التّشريع، ألا يُعدّ نسخ الأحكام تغيُّر وتبدُّل في عالم التّشريع؟

جواب سماحة الشّيخ: ذاك نسخ، والنّسخ ليس تغيراً، النّسخ يقوم على أنّ أصل الحكم كان محدوداً مؤقتاً، النّسخ إعلان انتهاء أمد الحكم الذي كان مؤقتاً، إعلان أنّ وقته انتهى، أي أنّ الحكم المؤقَّت عند الله كان مؤقتاً عند الله بهذا الوقت، النّسخ يقول لي ماذا؟ يقول إنّ هذا الحكم وصل وقته، فهو مؤقّت من الأصل وليس مفتوحاً، بينما الأحكام التي نقول عنها أنّها ثابتة فهي أحكام مفتوحة.

حفظك الله سماحة الشّيخ، سؤالي: بالعنوان الأوّليّ لربّما تأتي الإباحة ولكنّ المتفكّر قد يرى بعد ذلك أنّه قد تحدث مضرّة من استمرارية هذا العمل، وأضرب لذلك مثلاً: من يقوم بابتياع الفيزا الآن ويجلب له خمسة عشر أو عشرين أو ثلاثين عاملاً بحجّة أنّ هذا مباح، وبعد ذلك تساق في الشارع وتنافس العمالة الوطنية. طبعاً هذه كارثة...

جواب سماحة الشّيخ: يأتي هنا تشخيص الفقيه، وعلى المكلّف أن يراجع فقيهه، فهنا يحدث أنّ الفقيه يشخّص أنّ ذلك مباح أن أجلب عاملاً وما إلى ذلك، لكن إذا تولّدت من ذلك مضرّة تضرّ بالمصلحة العامّة فيأتي هنا دور الفقيه ليشخّص أنّ في هذا مضرّة وأنّها أهمّ فيوقفه.

هذا التّشخيص قد يأتي من وليّ الأمر الذي تمتثل طاعته، وقد يأتي من أنظمة وضعيّة، فكثير من القوانين التي تسنّ الآن هي ضمن أنظمة وضعيّة، ولكنّ المتعقّل يرى فعلاً أنّ خلافها سيأتي بكارثة...

جواب سماحة الشّيخ: حتى المقلِد هنا لو شخّص أنّ هذا يضرّ بالمصلحة العامّة، إذا وصل إلى قناعة بأنّه يضرّ بالمصلحة العامّة فعليه أن يقف.

بارك الله بكم شيخنا، حفظكم الله، كيف يميّز الفقيه بين الحكم الشّرعي والحكم الولائيّ للمعصوم عليه السلام؟

جواب سماحة الشّيخ: الحكم الولائيّ له موضوعه الثّانويّ وبارتفاعه ينتهي الحكم، فلو كان الموضوع الذي أمام الفقيه (أي الموضوع الخارجيّ) هو موضوع الحكم الثّانويّ للإمام عليه السلام فيتقيّد به (أي يتقيّد بالحكم الثّانويّ)، أمّا لو ارتفع موضوع الحكم الثانويّ الذي جاء بشأنه حكم ولائيّ للنّبيّ صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام، فيرجع للحكم الأوّليّ.

كيف يميز الفقيه بين الحكمين؟

جواب سماحة الشّيخ: عليّ وعليك أن نكون فقيهين لنعرف ذلك.

خمس الأرباح السنويّة هو حكم ولائيّ وليس حكم شرعيّاً؟

جواب سماحة الشّيخ: هذا ليس معلوماً.

إذا كانت لي ملكة في السّياسة، وتشخيصي أنّي لا أحتمل التعذيب الذي ينتابني من النّظام، بسبب ممارستي لها، هل يعفيني خوفي من عدم احتمال التعذيب لترك ممارسة هذه الملكة مع ضرورتها؟

جواب سماحة الشّيخ: المطلوب للضعيف أن يبني نفسه.

كيف يتمكّن المستنبِط من معرفة الثّابت والمتغيّر من مرويّات أهل البيت عليهم السلام ذات الجُمل المقتضَبة أو الوصايا المشخّصة؟ وهل يستطيع المثقّف الدينيّ أن يتمكّن من هذه المسؤوليّة، أي: تحديد الثّابت والمتغيّر؟

جواب سماحة الشّيخ: فنّ الفقه فنٌّ دقيق جداً يا إخوان، دقيق جداً إلى أقصى حدٍّ، أنت تتصوّر كبار الفقهاء المتضلِّعون جداً يحاسِبون بعضهم البعض محاسبة علميّة شديدة ناقدة بحيث توجِد نقاط ضعف عند هذا الفقيه العملاق، فهذا الفنُّ غير مطروح عند المثقَّف العادي أبداً أبداً.

هل هذه المقولة صحيحة: وجود ثبات في الأهداف ومرونة في الوسائل؟ ثبات في الأصول ومرونة في الفروع؟ ثبات في الكلّيّات ومرونة في الجزئيات؟

جواب سماحة الشّيخ: مرونة تصل إلى نسف الكلّيّات غير مسموح بها طبعاً، وعلى كلّ حال: الوسائل فيها الواجب وفيها المحرَّم، ولا يطاع الله من حيث يعصى، فوسيلة توصلني إلى شيء حتى ولو كان واجباً لا يمكن، إلّا بعد بيان أهمّيّة الواجب على المحرَّم وهذا هو باب التّزاحم، لكن لا يمكن التوصُّل إلى المباح بمحرّم، بل حتى إلى الواجب بمحرّم، فهو أساساً غير ممكن، إلّا في الحالة التي يشخّص فيها الفقيه ذلك، كما في حالة إنقاذ الغريق التي يراها الفقيه أهمّ من حرمة عبور الأرض المغصوبة، فالأمر راجع إلى الفقيه الذي يستطيع أن يشخّص الأهمّيّة، وأنّ هذا أهمّ من ذاك. الثبات في الأصول المرونة في الفروع: الفروع تتبع الأصول، فالفرع الذي يهدم أصله فو مهدوم أصلاً، ولا يصحّ لفرع أن يهدم أصله، بل يأخذ شرعيّته من أصله.

بالنّسبة لربطة العنق هناك رأي يقول بأنّه قد تمت ممارسة الحرمة في البداية، ثمّ صارت ممارسة عامّة..

جواب سماحة الشّيخ: طبعاً الأوّل حرام، ثمّ بعد أن تصبح ممارسة عامّة يتخلّق موضوع جديد ويأخذ حكمه الجديد.

بعض الأحكام الثّابتة مربوطة بآيات من القرآن الكريم، كعدد الشهود في الزنا، واليوم قد لا نحتاج إلى نفس عدد الشهود في ظل توفر التكنلوجيا المتطورة كالتصوير وغيرها.

جواب سماحة الشّيخ: في قضية البيّنة فإنّ بعض الفقهاء يذهب لاعتماد الوسائل الإثباتيّة العلميّة. افترضوا سرقة -وما إلى ذلك- مثبتة بوسائل علميّة يقينيّة كالكاميرات وغيرها، أيُّها أقوى هذه أو البيّنة؟ هذه تكون أقوى من البيّنة، فيأخذ الفقيه بها لأنّها توفّر علماً بل هي أكثر إثباتيّة من قضية البيّنة.

لماذا يكون عالم الدِّين آخر من يقبل بالمتغيّرات الحضاريّة؟ ففي البداية يرفضها ثمّ يضطر إلى القبول بها.

جواب سماحة الشّيخ: طبعاً التّغيّرات الحضاريّة على نوعين، هناك تغيّرات حضاريّة إيجابية بالنّظر الدِّيني، وهناك تغيّرات حضاريّة سلبيّة بالنّظر الديني، ولا يوجد معمَّم واعٍ يقف من التّغيّرات الحضاريّة الإي جابيّة موقفاً سلبياً.

إنتهى ويليه الجزء الثالث في العدد المستقبل

المصدر: مجلة بقية الله

▫ مقال

بين حريّة التفكير وحريّة العقيدة

هناك اختلاف بين حريّة التفكير وحريّة العقيدة. إنّ حرية التفكير ناشئة عن القابليّة الإنسانيّة للإنسان، والّتي يستطيع بها أن يُفكّر في المسائل المختلفة، وهذه القابليّة البشريّة يجب أن تكون حرّةً طليقة؛ لأنّ تقدُّم وتكامل البشر رهنٌ بهذه الحريّة، غير أنّ حريّة العقيدة لها خصائص أُخرى. إنّ منشأ كثيرٍ من العقائد المتداولة هو سلسلة من العادات والتقاليد والعصبيّات، ولا توجد هداية ولا حلّ في هذا النوع من العقيدة، بل على العكس من ذلك، فإنّها تُعدّ قسمًا من الانغلاق الفكري؛ أي إنّ فكر الإنسان في هذه الحال بدلًا من أنْ يكون فعّالًا متفتّحًا، فإنّه يكون منغلقًا مسدودًا، وعند ذاك فإنّ قوّة التفكير المقدّسة - بسبب هذا الانغلاق والانعقاد - تصبح أسيرةً سجينةً في دخيلة الإنسان.

إنّ حريّة العقيدة بالمعنى الأخير، لم تكن مفيدةً فحسب، بل إنّها تسبّب آثارًا ضارّةً جدًّا، للفرد والمجتمع.

هل يجب أن نقول بالنسبة إلى الإنسان الّذي يعبد صخرةً: إنّه قد فكّر ووصل إلى هذا المستوى بصورةٍ صحيحة؟ وبدليلٍ أنّ العقيدة محترمة أيضًا؟ فلذلك يجب أن نحترم عقيدته، ولا نمنعه من عبادة الصنم، أي إنّنا نعمل ما عمله النبيّ إبراهيم خليل الله.

إنّ الناس في زمان النبي إبراهيم عليه السلام كانوا جميعًا عبدة أصنام، ذلك أنّه في أحد الأعياد الوطنيّة، حيث كان الناس كلّهم في خارج المدينة، لم يخرج إبراهيم معهم، بل اغتنم الفرصة وأخذ فأسه وذهب إلى الأصنام وحطّمها جميعًا، إلّا الصنم الأكبر فإنّه لم يحطّمه، بل علّق الفأس في رقبته، واستهدف من ذلك: أنّ كلّ من يذهب لزيارة الأصنام سوف يتصوّر أنّ الآلهة تحاربت مع بعضها، وكانت النتيجة أنّ الصنم الأكبر لمّا كان يتمتّع بقوّة أكبر، فإنّه كسّر وحطّم سائر الأصنام، وبقي بمفرده. وبالتالي، يتّضح للناس - بحكم الفطرة - أنّ الأصنام لا تستطيع أن تتحرّك من أماكنها، وهذا التفكير يدعوهم إلى التذكّر والتعقّل.

عندما رجع الناس ورؤوا ذلك الوضع، غضبوا واغتاظوا، وأخذوا يبحثون عن الفاعل، وبينما هم يبحثون، تذكّروا أنّ هناك فتىً في المدينة، يستنكر هذه الأعمال.

يستخدم القرآن في هذا المجال أُسلوبًا لطيفًا جدًّا، إذ يقول: ﴿فَرَجَعُواْ إِلَى أَنفُسِهِم﴾؛ أي إنّ هذا الاحتجاج أصبح سببًا في أن يُراجعوا أنفسهم.

إنّ النفس الحقيقيّة للإنسان في نظر القرآن هي العقل والتفكُّر الخالص والمنطق الصحيح. يقول القرآن إنّ هؤلاء قد انفصلوا عن أنفسهم، وصار هذا التذكُّر سببًا لكي يجدوا أنفسهم، ويعودوا إليها مرّة أخرى.

والآن، كيف نفسّر عمل إبراهيم؟ هل إنّ عمل إبراهيم عليه السلام كان خلافًا لحريّة العقيدة - بمعناها الشائع الّذي يقول: "إنّ كلّ إنسان يجب أن يكون حرًّا في عقيدته" - أم كان في خدمة حريّة العقيدة بمعناها الواقعي؟

إذا كان إبراهيم يقول: إنّ ملايينًا من البشر يُقدّسون هذه الأصنام، فيجب عليّ أن أحترمها أيضًا؛ أي إنّه كان يبرز العقيدة الرائجة نفسها الآن بكثرة؛ فهل سيكون هذا عملًا صحيحًا صائبًا ومتكاملا؟يعتقد الإسلام أنّ هذا العمل إغراءٌ بالجهل وليس خدمةً للحريّة.

وفي تاريخ الإسلام، نلاحظ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عَمِل في فتح مكّة عملًا مشابهًا تمامًا لما عمله إبراهيم عليه السلام؛ إنّه حطّم الأصنام بعذرِ حريّة العقيدة؛ لأنّه رأى أنّ هذه الأصنام عوامل لتقييد أفكار الناس. وقد كانت أفكار البشر مئات الأعوام أسيرة هذه الأصنام الخشبيّة والمعدنيّة. ولذلك، فإنّ أوّل عملٍ أقدم عليه الرسول بعد فتح مكّة كان تحطيم هذه الأصنام، وتحرير الناس تحريرًا حقيقيًّا.

والآن، لو قارنّا بين السلوك وأسلوب العمل هذا، وبين سلوك وأسلوب عمل ملكة بريطانيا عندما ذهبت في زيارة إلى الهند، كان ضمن برنامج سفرها زيارة أحد معابد الأوثان. وهناك، عندما كان الناس أنفسهم يريدون الدخول إلى ساحة المعبد، كانوا يخلعون أحذيتهم احترامًا للمعبد، ولكنّ الملكة أرادت أن تبرز احترامًا وإجلالًا أكثر، فخلعت حذاءها قبل الوصول إلى الساحة، ثمّ دخلت في أدبٍ كامل - أكثر من الجميع - ووقفت بخضوع أمام الأصنام. يقول بعض البسطاء لتفسير هذا الموقف: "انظروا إلى ممثّلة شعبٍ متقدّم كيف تحترم عقائد الناس!"، وهم غافلون عن أنّ هذا من حِيَل الاستعمار؛ الاستعمار الّذي يعرف أنّ معابد الأصنام هذه هي الّتي قيّدت وأسرت الشعب الهنديّ وأخضعتهم للمستعمرين. هذه الاحترامات المزيّفة ليست خدمةً للحريّة، وليست احترامًا للعقيدة، إنّها خدمة للاستعمار، فإذا ما تحرّر الشعب الهندي من هذه الخرافات، فإنّه سوف لن يخضع للإنكليز مرّةً أخرى.

المصدر: الإسلام والحياة، مركز المعارف للتأليف والتحقيق

▫ مقالة/ الجزء الثالث والأخير

الحجاب الشّرعيّ
تاريخه، حكمه، فلسفته، أدلّته

▫ الشيخ منصور إبراهيم الجبيلي

الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

ورد السُّؤال فيها عن الذّراعين من المرأة، هما من الزّينة التي قال الله!: ﴿ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾؟ فأجاب عليه السلام: «نعم.» فدلّت على حرمة إبدائهما لغير الزّوج ومن ذكر في الآية الكريمة.

إن قلتَ: الآية قسّمت الزّينة، فقالت بجواز الإبداء للظّاهر دون غيره، والظّاهر هو ما أظهره الله كالشّعر والرّقبة والصّدر والبطن والسّاقين، وأمّا الباطن فهو ما خلقه الله مستوراً وهو الجيوب والجيب هو كلّ فتحة لها طبقتان، فينطبق ذلك على ما بين النّهدين وتحتهما، وتحت الإبطين وما بين الإليتين وغيره، فلا يجب ستر الرّأس.

قلتُ:

أوّلاً: هذا خلاف كلام أهل اللغة، ولم نجد ما ذكر في كلام اللغويّين.

ثانياً: الآية تفرض أنّ الظّاهر والباطن هما من الزّينة، فهل ما ذكر من الضّابط والمصاديق التي هي من غير الظّاهر من الزّنية؟

ثالثاً: يلزم التّكرار في الآية؛ حيث ذكرت الآية: ﴿ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ..﴾ ثمّ يقول: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾، فعلى هذا التّفسير أنّ المراد من المقطع الأخير هو النّهي عن إبداء الزّينة، فهذا خلاف بلاغة القرآن الكريم.

الدّليل الثّالث:

الأخبار الدالّة على حرمة النّظر إلى وجه المرأة ويديها، وذلك في الرّواية المفسّرة لهذه الآية الكريمة: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ...﴾، بتقريب أنّ المقصود من الأمر بغضّ البصر ترك النّظر.

ففي معتبرة سعد الإسكاف الواردة في مورد نزول الآية عن أبي جعفر عليه السلام قال:«استقبلَ شابٌّ من الأنصار امرأةً بالمدينةِ، وكانت النّساء يتقنّعْنَ خَلْفَ آذانِهِنَّ. فنظرَ إليها وهي مُقْبِلةٌ، فلمّا جازت نَظَر إليها، ودخلَ في الزُّقاق -قد سمّاهُ ببني فلانٍ- فجعل ينظرُ خلْفها، واعترضَ وجهه عظمٌ في الحائط أو زُجاجةٌ فشُقَّ وجْهُهُ، فلمّا مضت المرأةُ نظر فإذا الدِّماءُ تسيلُ على ثَوْبِه وصدره، وقال: والله لآتينّ رسول الله صلى الله عليه وآله فلأُخبرنّهُ، فأتاهُ فلمّا رآهُ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما هذا؟ فأخبرهُ، فَهَبَط جبرئيلُ عليه السلام بهذهِ الآية: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ﴾.

بتقريب أنّه لولا نظر الشّابّ الأنصاريّ إلى وجه المرأة ومحاسنها، لم يصر مجذوباً لها لكي يدخل في الزُّقاق، فينشقّ وجههُ باعتراض العظم. وبمقتضى مناسبة مورد نزول الآية لا بدّ أن يكون المقصود من الأمر بغضّ البصر إيجاب ترك النّظر. ويمكن أن يقال: مقتضى إطلاقه حرمة النّظر إلى جميع بدن المرأة حتّى الوجه والكفّين. إذن فهي تدلُّ بالأولويّة القطعيّة على حرمة النّظر إلى غيرهما من أعضائها.

الدّليل الرّابع:

الرّوايات الدّالة على جواز النّظر إلى شعر المرأة وساقها لمن يريد التّزويج منها، أو يريد شراء الأمة، كصحيحة محمّد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرّجل يريد أن يتزوّج المرأة أن ينظر إليها؟ قال: «نعم، إنّما يشتريها بأغلى الثّمن.» فإنّ اختصاص الحكم فيها بمريد التّزويج والشّراء، يدلُّ بوضوح على الحرمة، إذا لم يكن الرّجل بصدد الزّواج منها، أو شرائها.

الدّليل الخامس:

معتبرة السُّكوني الدّالة على جواز النّظر إلى نساء أهل الكتاب، معلّلة ذلك بأنّهن لا حرمة لهنّ، فعن أبي عبد الله عليه السلام، قال:«قال رسول الله صلى الله عليه وآله :لا حرمة لنساء أهل الذِّمّة أن ينظر إلى شعورهنّ وأيديهنّ، فإنّها تدلُّ على حرمة النّظر إلى المسلمة؛ نظراً إلى كونها محترمة من حيث العرض.

الدّليل السّادس:

النُّصوص الدّالة على جواز النّظر إلى نساء أهل البادية؛ باعتبار أنّهنّ لا ينتهين إذا نهين؛ لصحيحة عبّاد بن صهيب، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «لا بأس بالنّظر إلى رؤوس أهل تهامة، والأعراب، وأهل السّواد والعلوج؛ لأنّهم إذا نهوا لا ينتهين.» فإنّ التّعليل يكشف عن حرمة النّظر إلى المرأة بحدّ ذاته، وإنّ الحكم بالجواز في أهل البادية إنّما ثبت؛ نتيجة إلغائهنّ لحرمة أنفسهنّ، وإلّا فالحكم الأوّلي فيهن أيضاً هو عدم الجواز.

▪ النُّقطة السّادسة: الشُّبهات حول الحجاب

الشُّبهة الأولى: الحجاب يمنع المرأة من التّعلّم والعمل والرّياضة وو.. فيقيدها ويمنعها من التّقدّم في حياتها.

الجواب: الإسلام حينما فرض الحجاب فقد كرّم المرأة وحافظ عليها؛ كي لا تتعرّض للإيذاء من قبل الشّواذ والفسّاق وضعاف النُّفوس، والحجاب لا نسلّم أنّه يمنع المرأة من التّقدّم في شتّى المجالات، فقد وصلت كثير من النّساء المسلمات إلى أعلى المستويات في العلم والعمل وشتّى المجالات وهنّ محجّبات، ولذا نرى كثيراً من النّساء في عدّة مجالات كالطّبّ والتّدريس والإدارة.

الشُّبهة الثّانية: المرأة حرّة فيما تصنع، فلها أن تستر رأسها ولها إلّا تستر، وليس لأحد أن يفرض عليها شيئاً لا تقبله، ولا يوجد إكراه في الدّين ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ..﴾ (البقرة:٢٥٦)، فلمَ تُكرهون المرأة على الحجاب؟

الجواب:

أوّلاً: الإنسان مخلوق من قبل الله تعالى، فالخالق الذي خلقنا له الحقُّ في أن يلزمنا بأي إلزام وليس لنا حقُّ الاعتراض.

ثانياً: نعم الإنسان حرٌّ، ولكنّ هذه الحرّيّة مقيّدة بألّا تخالف الحدود الإلهيّة، فعند مخالفة الحدود الإلهيّة يكون الإنسان قد تجاوز حدّه، فلا بدّ من تحديد سعة وضيق الحريّة في مرحلة سابقة بما وضعها لنا سيّدنا وإلهنا وخالقنا ومالكنا، ثمّ يأتي الكلام في أنّه هل الإسلام قيّدهما أم لا.

ثالثاً: هذا الاستشهاد بالآية غير صحيح؛ فيحتمل أن يكون المعنى هو الإخبار أنّ دين الإسلام هو دين المنطق والعقل والحكمة، فلا يحتاج إلى إجبار أحد على أن يعتنقه، فكلُّ إنسان إذا أعمل عقله والتفت إلى فطرته يجد عقيدة الإسلام وأحكامه منسجمة مع الطّبيعة والفطرة والعقل، وبالتّالي يعتنقها باختياره دون إكراه. وهناك نقاش في فهم الحرّيّة العقديّة من هذه الآية، أتركه لمحلّ آخر فهو ليس بحثنا، ويكفي ما ذكرناه.

الشُّبهة الثّالثة: الفكر الإسلاميّ لا يتناسب مع متطلّبات الزّمان والمكان؛ فالحجاب كان في زمن النّبيّ مناسباً لذلك الزّمان؛ فذلك الزّمان لا تعمل المرأة في شتّى المجالات كاليوم، وأمّا هذا الزّمان فالذي يتناسب مع عمل المرأة في شتّى المجالات هو عدم لزوم الحجاب.

الجواب: من الذي يحدّد أنّ هذا هو المناسب أم لا؟ هل هو الذّوق أم الأهواء؟ فهذه تختلف من شخص إلى شخص، ومن مكان إلى آخر ومن زمان إلى زمان، والحجاب تشريع إلهيّ من قِبَل خالق الكون، وهو سبحانه الأعرف بما يصلح الإنسان وبما يفسده. ثمّ إنّا لا نسلّم عدم مناسبة الحجاب لهذا الزّمان أو غيره، بل الحجاب مناسب لهذا، وكلُّ زمان وفي شتّى المجالات.

الشُّبهة الرّابعة: الحجاب يحول دون إبراز المرأة جمالها، فهو يحجبها ويغطّي أهمَّ ما في المرأة؟

الجواب:

أوّلاً: لا نسلم أنّ الحجاب الشّرعيّ يحجب جمالها، وأنّ جمالها في كشف بدنها.

ثانياً: من قال بأنّه يجب عليها أن تبرز مفاتنها وجمالها؛ فهي ليست بضاعة.

ثالثاً: وهل جمال البدن هو أهمُّ ما في المرأة؟ نعم، الغرب المتحلّل يصوّر لنا المرأة أنّها بضاعة، ولكنّ الواقع ليس كذلك، فالجمال جمال الرّوح أوّلاً، والبدن يبلي ويفسد شيئاً فشيئاً مع كِبَرها.

الشُّبهة الخامسة: أنا امرأة وليس القرآن حكراً على أحد، فلي حقّ التّفسير، ولم أفهم من آيات السّتر والحجاب أنّ الحجاب أمرٌ إلزاميّ، فلا يجب عليّ أن أتستّر.

الجواب:

أوّلاً: أمّا أنّ القرآن ليس حكراً على أحد، فإن كان المراد هو القراءة والتّدبّر في آياته فنعم، كيف لا وقد قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ..﴾ (النساء:٨٢)، ولكن لا يمكن التّدبّر بلا مفاتيح وآليّات، ومن الآليات علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة، وعلم الأصول والرّجال والفقه، وقد تحتاج إلى الفلسفة وعلم الكلام وغيرها، وفهم روايات أهل البيت عليهم السلام الذين هم أدرى بالذي في القرآن، يحتاج إلى هذه العلوم وغيرها، ولا يمكن للعقل أن يستقل بنفسه في التّدبر. نعم يمكن التّدبر في بعض الآيات التي هي مورد اتفاق في فهمها، وليست من المتشابهات. وأمّا إن كان المقصود هو التّفسير فما ذكر ليس بصحيح؛ إذ إنّ التّفسير كذلك يتوقّف على عدّة علوم كعلوم اللغة وعلم الفقه والحديث والرّجال والأصول وغيرها، وهذه عادة يدرسها بإتقان قليل، فإذا كان المستشكّل قد درس ذلك وفهم هذه العلم فله أن يفسّر. وإلّا إذا استند الإنسان إلى عقله فقط، فإنّه يصدق عليه أنّه فسّر القرآن برأيه، والذي قد وردت روايات عن أهل البيت في ذمّهم.

ثانياً: هذا حكم شرعيّ إلزامي وليس أمراً مباحاً، فكلٌّ يرجع إلى المرجع الذي يكون تقليده مبرئاً لذمته؛ للزوم التّقليد -كما ثبت في محلّه- وليست هذه المسألة من المسائل التي يمكن للمكلّف العمل بها أو تركها باختياره.

الشُّبهة السّادسة: المهم في الإنسان الطّيبة والوجه الضّحوك مع النّاس، والأخلاق الحسنة، وأنّ يكون القلبُ نظيفاً، وتكون المعاملة حسنة، ولا يجب الحجاب؛ إذ هو أمر ظاهري لا يكشف عن الباطن. خصوصا إذا كانت خادمة لأهل البيت عليهم السلام، فهذه الخدمة تشفع لها يوم القيامة، فلا تنفّروها من الخدمة؛ بالطّلب منها أن تلبس الحجاب.

الجواب:

أوّلاً: المهمّ في حياة الإنسان هو طاعة الله تعالى، واكتساب رضاه وتجنُّب معصيته وغضبه.

ثانياً: لتكن هذه المرأة طيّبة القلب وغيرها من الصّفات الحسنة وتكون مع ذلك محجّبة؛ فلا منافاة، بل الحجاب تكليف لوحده، فقد يجتمع عنوان طيبة القلب والحجاب وقد لا يجتمعان، كما يقال بينهما عموم من وجه، والمطلوب العفاف القلبيّ والظّاهري بالحجاب.

ثالثاً: خدمة أهل من أعظم القربات، ولكن قد يغالط الإنسان نفسه بالطّاعة والمعصية في وقت واحد، ويكون أشبه بالمرجئة؛ وكأنّ الطّاعة لا تضرُّ معها المعصية، فالخدمة طاعة والسُّفور وعدم ستر الرّأس مع العلم والقصد وعدم العذر معصية، فلا يغالط الإنسان نفسه. ثمّ أهل البيت عليهم السلام الذين نخدمهم هم من أمرونا بالحجاب للمرأة. وأمّا تنفيرهن عن الخدمة، فلا معنى لنفرتهنّ أو امتعاضهنّ؛ إذ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر تكليف إلهيّ، علّمنا إيّاه أهل البيت عليهم السلام الّذين نخدمهم، نعم يبقى أن يختار الإنسان الأسلوب المناسب.

الشُّبهة السّابعة: إذا أراد الله أن يهدي هذه المرأة غير السّاترة لرأسها، فسوف يهديها في يوم من الأيام، فلا تكلّفوا أنفسكم بأمرها.

الجواب: الهداية لها أسبابها، فما لم يوفّر ويهيئ الإنسان الأرضيّة للهداية فبعيد أن تحصل الهداية، ثمّ هذا لا ينافي الحكم التّشريعي والتّكليف بلزوم الحجاب، فما لم تستر رأسها تكون عاصية، فكيف باستمرارها في المعصية فهل هذا تمهيد لأرضيّة الهداية؟

الشُّبهة الثّامنة: الإنسان لا بدّ أن يفعل الشّيء عن قناعة، فما لم يقتنع الإنسان بشيء فلن يفعله برغبة، وما دمتُ لستُ مقتنعة فلن ألبسَ حجابي، إلّا بعد القناعة؛ لكيلا يكون لباسي للحجاب بلا قناعة منّي.

الجواب: الحجاب وستر الرأس ليس أمرا تأتي فيه القناعة، بل حكم شرعيّ إلزاميّ، اقتنع من اقتنع ورفض من رفض، ومتى كانت الأحكام الإلزامية تدور مدار القناعة وعدمها؟ فهل أنّ العبد إذا أمره سيده ومولاه ومالكه وخالقه لا بدّ أن يقتنع حتى يتحرّك؟ وهل الجندي لا يتحرّك إلا بعد اقتناعه بأوامر قائده؟

الشُّبهة التّاسعة: بعض النّساء المتحجّبات ظاهرهنّ شيء وباطنهنّ شيء آخر، فنجد بعض النّساء متستّرة ظاهراً، والحال أنّها متكدّرة -إن صحّ التّعبير- وليست بنظيفة في الباطن؛ فتحمل الأحقاد والأضغان، إذن كلُّ المحجبات هكذا، فلا داعي أن ألبسه؛ لأنّه لن يغير من شخصيّتي.

الجواب:

أوّلاً: نحن لا نعلم بواطن النّاس، فينبغي أن نحسن الظّنّ بالآخرين، ولا نتهمهم.

ثانياً: لو سلّمنا وجود بعض النّساء عُرفن بذلك، فما يفعلونه في الباطن ليس بصحيح، وحسابهم عند ربّ العالمين، ولسنا نحن من نحاسبهم.

ثالثاً: من أين هذا التّعميم؟ فلو ثبت في بعض فمن أين هذا التّعميم لكل المحجّبات؟!

رابعاً: الحجاب حكم شرعيّ إلزاميّ مخاطب به النّساء المكلّفات، فكلُّ امرأة مكلّفة بهذا الحكم الشّرعي ولا علاقة لها بالآخرين، ولا علاقة له بالتغيُّر من عدمه، فإذا لم تغيّر الصّلاة في الإنسان من جهة النّهي عن الفحشاء والمنكر فهل يتركها؟ وهل يترك الجندي أمر قائده لأنّه لم يرَ أثرَ أمرِ قائده؟

الشُّبهة العاشرة: الحجاب وستر الرّأس يبعد الشّباب عنها، وبالتّالي يمضي وقت الزّواج ويفوتها قطار الزّواج كما يقال، بينما لو كانت غير متسترة، فإنه تكون في معرض نظر الرّجال، فيتقدّمون لها لخطبتها والزّواج منها، فلا يفوتها القطار.

الجواب:

أوّلاً: لا علاقة ولا ملازمة بين خطبة المرأة والحجاب؛ فإذا كان لها نصيب ورزق ستحصل عليه، حتّى لو كان في قاع البحر، كثير من المؤمنات لا يخرجن من بيوتهنّ، ومع ذلك تزوّجن وعشن حياةً سعيدة مستقرّة.

ثانياً: هذا الكلام مبني على نظرة خاطئة للمرأة، وأنّها سلعة وبضاعة، وهذا خلاف نظرة الإسلام للمرأة وأنّها جوهرة مصانة.

▪ خاتمة

مسألة الحجاب وستر المرأة للرّأس هي من المسائل الضّروريّة الواضحة، التي لا يتطرّق إليها الشّكّ، ولزوم الحجاب هو حكم شرعي إلهيّ وراءه مصلحة شديدة، بحيث يكون ترك هذه الفريضة موجباً لخسران هذه المصلحة، وموجباً لحصول المفسدة العظيمة. فعلى المرأة المسلمة أن تفتخر بحجابها الشّرعيّ، والذي هو شرف وفخر لها وفيه تكاملها، ولا تصغي لما يطرح من شبهات ووساوس، من قبل من يدّعي الدِّفاع عن المرأة، وهو لا يريد الخير لها، تحت عناوين برّاقة لامعة تغري. فينبغي ألّا نحيد عن الحكم الشّرعيّ والتّكليف الإلهيّ قيد أنملة، ففي السّير على خطِّ القرآن والعترة والفقهاء الفلاح والسّعادة في الدّارين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصدر: مجلة رسالة القلم

▫ مقالة/ الجزء الثاني

شبهات وإيضاحات

حول أصول الفقه عند الشيعة الإمامية

▫ [آية الله الشيخ]د. جعفر السبحاني، إيران

▪ هل سنة وراء سنة النبي؟

السنة هي المصدر الثاني للعقيدة والشريعة، سواء أكانت منقولة باللفظ والمعنى، أو كانت منقولة بالمعنى فقط، إذا كان الناقل ضابطا في النقل. وقد خص الله بها المسلمين دون سائر الأمم حيث إنهم اهتموا بنقل ما أثر عن النبي من قول وفعل وتقرير، وبذلك صارت السنة من مصادر التشريع الإسلامي.

وقد أكد أئمة أهل البيت عليهم السلام على أن السنة الشريفة هي المصدر الرئيسي بعد الكتاب، وأن جميع ما يحتاج الناس إليه قد بينه سبحانه في الذكر الحكيم أو ورد في سنة نبيه.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئا تحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله، وجعل لكل شيء حدا، وجعل عليه دليلا يدل عليه، وجعل على من تعدى ذلك الحد حدا.»

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة.»

وروى سماعة عن الإمام أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام قال: «قلت له: أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه، أو تقولون فيه؟ قال: بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه.»

روى أسامة قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده رجل من المغيرية() فسأله عن شيء من السنن فقال: «ما من شيء يحتاج إليه ولد آدم إلا وقد خرجت فيه سنة من الله ومن رسوله، ولولا ذلك ما احتج علينا بما احتج؟"؛ فقال المغيري: "وبم احتج؟" فقال أبو عبد الله عليه السلام: قوله (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)، فلو لم يكمل سنته وفرائضه وما يحتاج إليه الناس، ما احتج به.»

روى أبو حمزة عن أبي جعفر قال: قال رسول الله في خطبته في حجة الوداع: «أيها الناس اتقوا الله، ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد نهيتكم عنه وأمرتكم به» إلى غير ذلك من النصوص المتضافرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من التأكيد على السنة والركون إليها.

▪ أئمة أهل البيت عليهم السلام حفظة سنن الرسول

كان النبي الأكرم يقوم بأمور ومهام لها صلة بالجوانب المعنوية بالإضافة إلى إدارة دفة الحكم، وهي:

١ - تبيين الأحكام الشرعية والإجابة عن الحوادث المستجدة التي لم يبين حكمها في الكتاب ولا في السنة الصادرة إلى يومها.

٢ - تفسير القرآن الكريم وتبيين مجملاته وتقييد مطلقاته وتخصيص عموماته.

٣ - الرد على الشبهات والتشكيكات التي يطلقها أعداء الإسلام من اليهود والنصارى بعد الهجرة.

ومن المعلوم أن من يقوم بهذه المسؤوليات سوف يورث فقده فراغا هائلا في نفس هذه المجالات، ومن الخطأ أن نتهم النبي -والعياذ بالله- أنه قد ارتحل من دون أن يفكر في ملء تلك الثغرات المعنوية الحاصلة برحيله..

فإذا رجعنا إلى أحاديث النبي نقف على أنه قد سد هذه الثغرات باستخلاف من جعلهم قرناء الكتاب وأعداله، وأناط هداية الأمة بالتمسك بهما، ونذكر نماذج من كلماته في هذا المجال:

١ - روى ابن الأثير الجزري في "جامع الأصول" عن جابر بن عبد الله قال: «رأيت رسول الله في حجة الوداع يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي.»

٢ - وأخرج مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم قال: «قام رسول الله يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة، وحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه.. ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي.»

٣ - أخرج الترمذي في صحيحه عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «رأيت رسول الله في حجة يوم عرفة على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي.»

٤ - أخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله : إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود الى السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

وهذا الحديث المعروف بحديث الثقلين رواه عن النبي أكثر من ثلاثين صحابيا، ودونه ما يربو على ثلاثمائة عالم في كتبهم في مختلف العلوم والفنون، وفي جميع الأعصار والقرون، فهو حديث صحيح متواتر بين المسلمين، وقد عين النبي ببركة هذا الحديث من يسد هذه الثغرات ويكون المرجع العلمي بعد رحيله وليس هو إلا أهل بيته.

وبهذا يتبين أن العترة عليهم السلام عبية علم الرسول، وخزنة سننه، وحفظة كلمه، تعلموها بعناية من الله تبارك وتعالى كما تعلم صاحب موسى بفضل من الله دون أن يدرس عند أحد، ولذلك تمنى موسى عليه السلام أن يعلمه مما علم، قال سبحانه حاكيا عن لسان نبيه موسى عليه السلام (قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا).

وعلى ضوء ذلك فليس لأئمة أهل البيت عليهم السلام سنة ولا تشريع، وما أثر عنهم من قول وفعل وتقرير فإنما يعتبر لكونهم حفظة سنن النبي ، فلا يصدرون ولا يحكمون إلا بسنته. فلو قيل: إن قول الإمام عليه السلام أو فعله أو تقريره سنة إنما يراد به أنهم تراجم سنة النبي وأقواله وأفعاله.

فما قاله العلامة الشيخ المظفر قدس سره من أن المعصوم من آل البيت عليهم السلام يجري قوله مجرى قول النبي من كونه حجة على العباد إنما يريد ذلك. وما أحسن قوله «يجري مجرى قول النبي »، فلو كان أئمة أهل البيت عليهم السلام أصحاب سنن في عرض سنة النبي فلماذا قال: «ويجري قولهم مجرى قول النبي »؟!

هذه عقيدة الإمامية من أولهم إلى آخرهم، فالتشريع لله سبحانه فقط، والنبي الأكرم هو المبلغ عن الله سبحانه في ما شرعه، وأئمة أهل بيته خلفاء رسول الله وحفظة سننه وتراجم كلمه، والمبلغون عنه السنن حتى يجسدوا إكمال الدين في مجالي العقيدة والشريعة.

وحين قال سبحانه: (اليوم أكملت لكم دينكم) فإنما هو لأجل نصب علي عليه السلام أول أئمة أهل البيت عليهم السلام للخلافة لكي يقوم بنفس المسؤوليات التي كان النبي قائما بها طيلة أيام رسالته، ويملأ الثغرات التي أعقبتها رحلته ، غير أنه نبي يوحى إليه و هذا وصي حافظ لسننه.

سنة الصحابة في مقابل سنة النبي:

لقد تبين لنا أن الأستاذ قد عجب من وجود سنة لأهل البيت عليهم السلام ،وقد فسرنا معنى ذلك عند الإمامية، وقلنا بأنه ليس للأئمة سوى سنة النبي ، ولكن ألفت نظره إلى أن أهل السنة قد قالوا بوجود سنن أخرى بعد سنة النبي ، واليك ما يشير إلى ذلك:

١-الحديث المعروف عندهم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ.»

يقول ابن قيم الجوزية في تفسير الحديث: «فقد قرن سنة خلفائه بسنته وأمر باتباعها كما أمر باتباع سنته،وهذا يتناوله ما أفتوا به وسنوه للأمة وإن لم يتقدم للنبي فيه شيء، وإلا كان ذلك سنة». فالرواية تدل على أن للصحابة سنة كسنة النبي ، فعندهم سنة أبي بكر وسنة عمر وسنة عثمان وسنة علي.

٢ -روى السيوطي أن حاجب بن خليفة قال: «شهدت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو خليفة، فقال في خطبته: على أن ما سن رسول الله وصاحباه فهو دين نأخذ به وننتهي إليه، وما سن سواهما فإنا نرجئه.»

أبعد هذه النصوص يصح للأستاذ أن يستغرب من وجود سنة لأئمة أهل البيت عليهم السلام ، أعلام الهدي، ومصابيح الدجى، وقرناء الكتاب، وثاني الثقلين..

ولولا المخافة من تكدير مياه الصفاء لبسطنا القول في ذلك.

▪ طرق علم الأئمة بالسنة

قد أشرنا إلى أنه ليس لأئمة أهل البيت عليهم السلام سنة خاصة، بل هم حفظة سنن النبي ، ولسائل أن يسأل: ما هي طرقهم إلى سنن النبي وأكثرهم لم يعاصروه ولم يسمعوا عنه مباشرة، ومن المعلوم أن النبي قد عاصره الإمام علي والإمامان الحسن والحسين عليهم السلام فقط؟

والإجابة عن هذا السؤال واضحة لمن عرف أحاديث الشيعة وأنس بجوامعهم، فإن لهم عليهم السلام طرقا إلى سنن النبي نأتي ببعضها:

الأول: السماع عن رسول الله:

إن الأئمة عليهم السلام يروون أحاديث رسول الله سماعا منه بلا واسطة أو بواسطة آبائهم، ولذلك ترى في كثير من الروايات أن الإمام الصادق عليه السلام يقول: "حدثني أبي عن زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي عن علي أمير المؤمنين عن الرسول الأكرم". وهذا النمط من الروايات كثير في أحاديثهم.

فأئمة أهل البيت عليهم السلام رووا أحاديث كثيرة عن رسول الله عن هذا الطريق.

الثاني: كتاب علي عليه السلام.

كان لعلي عليه السلام كتاب خاص بإملاء رسول الله ، وقد حفظته العترة الطاهرة عليهم السلام، وصدرت عنه في مواضع كثيرة، ونقلت نصوصه في موضوعات مختلفة، وقد بث الحر العاملي في موسوعته الحديثية أحاديث ذلك الكتاب حسب الكتب الفقهية من الطهارة إلى الديات، ومن أراد فليرجع إلى تلك الموسوعة.

وإليك شذرات من أقوال الأئمة بشأن هذا الكتاب الذي كانوا يتوارثونه وينقلون عنه ويستدلون به:

قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: «إن العلم فينا، ونحن أهله، وهو عندنا مجموع كله بحذافيره، ومنه لا يحدث شيء إلى يوم القيامة، حتى أرش الخدش، إلا وهو عندنا مكتوب، بإملاء رسول الله وخط علي بيده.»

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام لأحد أصحابه -أعني حُمران بن أعين- وهو يشير إلى بيت كبير: «يا حمران، إن في هذا البيت صحيفة، طولها سبعون ذراعا، بخط علي عليه السلام وإملاء رسول الله ، ولو ولينا الناس لحكمنا بما أنزل الله، لم نعدُ ما في هذه الصحيفة.»

وقال عليه السلام أيضا لبعض أصحابه: «يا جابر، إنا لو كنا نحدثكم برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله .»

وقال الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن الجامعة: «فيها كل ما يحتاج إليه الناس، وليس من قضية إلا فيها حتى أرش الخدش.»

وقال الإمام الصادق عليه السلام في تعريف كتاب علي: «فهو كتاب كوله سبعون ذراعا إملاء رسول الله من فلق فيه، وخط علي بن أبي طالب عليه السلام بيده، فيه والله جميع ما يحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة، حتى فيه أرش الخدش، والجلدة، ونصف الجلدة.»

ويقول سلمان بن خالد: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: "إن عندنا صحيفة طولها سبعون ذراعا، إملاء من رسول الله ، وخط علي عليه السلام بيده، ما من حلال ولا حرام إلا وهو فيها، حتى أرش الخدش.»

وقد كان علي عليه السلام أعلم الناس بسنة الرسول ، وكيف لا يكون كذلك وهو القائل: «كنت إذا سألت رسول الله أعطاني، وإذا سكت ابتدأني.»

الثالث: أنهم محدثون.

لأجل إيقاف القارئ على المحدث في الإسلام ومفهومه نذكر شيئا في توضيحه.

المحدث من تكلمه الملائكة بلا نبوة ورؤية صورة، أو يلهم له ويلقي في روعه شيء من العلم على وجه الإلهام والمكاشفة من المبدأ الأعلى، أو ينكت له في قلبه من حقائق تخفى على غيره.

فالمحدث بهذا المعنى مما أصفقت الأمة الإسلامية عليه، بيد أن الخلاف في مصاديقه، فالسنة ترى أن عمر بن الخطاب من المحدثين، والشيعة ترى عليا وأولاده الأئمة منهم.

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال النبي : «لقد كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم عمر.»

وقد أفاض شراح صحيح البخاري في الكلام حول المحدث.

وللمحدثين من أهل السنة كلمات حول المحدث نأتي بملخصها:

يقول القسطلاني حول الحديث: يجري على ألسنتهم الصواب من غير نبوة.

وأخرج مسلم في صحيحه باب فضائل عمر عن عائشة عن النبي : «قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم.»

وقال النووي في شرح مسلم: «اختلف تفسير العلماء في المراد بـ"محدثون"، فقال ابن وهب: ملهمون، وقيل: يصيبون إذا ظنوا كأنهم حُدِّثوا بشيء فظنوه، وقيل: تكلمهم الملائكة، وجاء في رواية مُكَلمون.»

وقال الحافظ محب الدين الطبرسي في "الرياض": «ومعنى "محدثون" -والله أعلم- أن يلهموا الصواب، ويجوز أن يحمل على ظاهره، وتحدثهم الملائكة لا لوحي، وإنما بما يطلق عليه اسم حديث، وتلك فضيلة عظيمة.»

وحصيلة الكلام أنه لا وازع من أن يخص سبحانه بعض عباده بعلوم خاصة يرجع نفعها إلى العامة من دون أن يكونوا أنبياء أو معدودين من الرسل، والله سبحانه يصف مصاحب موسى بقوله (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما)، ولم يكن المصاحب نبيا، بل كان وليا من أولياء الله سبحانه وتعالى، بلغ من العلم والمعرفة مكانة دعت موسى وهو نبي مبعوث بشريعة إلى القول (هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا).

ويصف سبحانه وتعالى جليس سليمان -آصف بن برخيا- بقوله (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي).

وهذا الجليس لم يكن نبيا، ولكن عنده علم من الكتاب، وهو لم يحصله من الطرق العادية التي يتدرج عليها الصبيان والشبان في المدارس والجامعات، بل كان علما إلهيا أفيض عليه لصفاء قلبه وروحه، ولأجل ذلك ينسب علمه إلى فضل ربه ويقول: (هذا من فضل ربي).

والإمام علي والأئمة من بعده الذين أنيطت بهم الهداية في حديث الثقلين ليسوا بأقل من صاحب موسى عليه السلام أو جليس سليمان، فأي وازع من أن يقفوا على سنن النبي عن طريق الإشراقات الإلهية.

الرابع: الاستنباط من الكتاب والسنة.

هذا هو الطريق الرابع، فقد كانوا عليهم السلام يستدلون على الأحكام الإلهية بالكتاب والسنة بوعي متميز يبهر العقول ويورث الحيرة، ولولا خشية الإطالة في المقام لنقلنا نماذج كثيرة من ذلك، ونكتفي هنا بأنموذج واحد، وهو: قدم إلى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة فأراد أن يقيم عليه الحد، فأسلم: فقال يحيى بن أكثم: الإيمان يمحو ما قبله، وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود، فكتب المتوكل إلى الإمام علي الهادي عليه السلام يسأله، فلما قرأ الكتاب كتب: يضرب حتى يموت، فأنكر الفقهاء ذلك، فكتب إليه ليسأله عن العلة، فقال عليه السلام: (بسم الله الرحمن الرحيم فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين، فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) ، فأمر به المتوكل فضرب حتى مات.

إن الإمام المهدي ببيانه هذا شق طريقا خاصا لاستنباط الأحكام من الذكر الحكيم، طريقا لم يكن يحلم به فقهاء عصره، وكانوا يزعمون أن مصادر الأحكام الشرعية هي الآيات الواضحة في مجال الفقه التي لا تتجاوز ثلاثمائة آية، وبذلك أبان للقرآن وجها خاصا لدلالته، لا يلتفت إليه إلا من نزل القرآن في بيته، وليس هذا الحديث غريبا في مورده، بل له نظائر في كلمات الإمام وغيره من آبائه وأبنائه عليهم السلام .

هذه إلمامة عابرة في بيان طرق أهل البيت عليهم السلام إلى النبي.

فما روي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: حول علمهم بالسنة فإنما هو ناظر إلى ما سبق ذكره.

سئل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه، أو تقولون فيه؟ فقال: «لا، بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه.»

فالإمام يريد بالسنة ما ذكرنا (مصادرها وطرقها) لا خصوص السنة الموجودة في أفواه الناس وعلى ألسنتهم، وإن كان ربما يلتقي علمهم بالسنن بما رواه الناس عن النبي في بعض المواضيع.

هذه الرواية العابرة توقفنا على مدى ما نقله الأئمة عليهم السلام من سنن النبي.

كيف لا يكون عند علي كتاب يجمع فيه سنن النبي وهؤلاء هم أبناء علي عليه السلام ينقلون عنه ويعتمدون عليه؟!

والعجب ما ورد في رواية البخاري من أن الصحيفة التي كان يحتفظ بها علي لم تشتمل إلا على جمل محدودة، فلو لم يكن عند علي وأبنائه المعصومين إلا ما جاء في هذه الرواية، فمن أين هذه العلوم الموروثة عنه وعن أبنائه الصادقين التي بهرت بها العقول؟!

كيف لا يكون عند علي عليه السلام سوى هذه الصحيفة أو ما في ألسن الناس مع أن المسلم عند الفريقين أن عليا كانت عنده علوم وأسرار لم تكن عند غيره، وكان الصحابة يرجعون إليها في المشاكل والمسائل العويصة؟، فهذا عمر بن الخطاب وسائر الخلفاء كانوا يرجعون إليه ويسألونه، كيف لا وهو باب مدينة علم النبي.

وقد قام زميلنا الجليل المغفور له الشيخ علي الأحمدي بجمع ما ورد في كتاب علي عليه السلام مما هو مبثوث في الجوامع الحديثية، ورتبه على ٢٦ بابا، وما جمعه إنما هو غيض من فيض وقليل من كثير مما كان في الأصل.

إنتهت وتليها الجزء الثالث في العدد المستقبل

المصدر: مجلة الواضحة، العدد الثالث

العتبة العلوية المقدسة تستضيف المؤتمر السنوي للمرشدين والمرشدات المرافقين لحجاج بيت الله الحرام

وكالة أنباء الحوزة - افتتح المؤتمر بتلاوة من الذكر الحكيم تلاها قارئ العتبة العلوية المقدسة السيد محمد مصطفى الحسيني.

واستذكر المؤتمرون شهداء فتوى الجهاد الكفائي الأبرار من المرشدين من أساتذة الحوزة العلمية المباركة والذين ضحوا بأرواحهم دفاعاً عن الوطن والمقدسات.

ثم كانت الكلمة لرئيس هيئة الحج والعمرة الشيخ سامي المسعودي في تبيان الإجراءات والأمور التنظيمية للمرشدين والمرشدات. بعدها كانت الكلمات للعلماء الأفاضل سماحة الشيخ حسن الجواهري، وسماحة السيد رشيد الحسيني قدموا خلالها التوجيهات الأخلاقية والعقائدية المهمة لجموع المرشدين والمرشدات لرعاية قوافل حجاج بيت الله الحرام .

من جانبه قال رئيس قسم الشؤون الدينية كرار الخفاجي في تصريح أنه: " برعاية العتبة العلوية المقدسة وبحضور أساتذة وفضلاء الحوزة العلمية والإخوة المرشدين والمبلغين الذين هم بخدمة حجاج بيت الله الحرام، أقيمت أعمال المؤتمر السنوي لهيئة الحج والعمرة للإخوة المبلغين والمرشدين والمرشدات الذين سيتجهون إلى بيت الله الحرام خدمة للمؤمنين الذين سيؤدون فريضة الحج ".

وشكر رئيس هيئة الحج والعمرة الشيخ سامي المسعودي العتبة العلوية المقدسة على استضافة المؤتمر في رحاب أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: " إن المؤتمر تمهيدي من أجل تهيئة القوافل الذاهبة إلى الديار المقدسة وقد أكدنا خلاله على التعاون والتفاني في خدمة ضيوف الرحمن؛ لما للمرشد الديني من دور كبير في التبليغ والإرشاد والوعظ وهذا ما نركز عليه في كل عام".

بدوره أشار المسؤول في دائرة الإرشاد والبحوث بالهيئة الشيخ طالب عزيز جبر، إلى" أن المؤتمر يحتضن مرشدي ومرشدات العراق لموسم الحج، ولأكثر من عام يقام المؤتمر في أروقة العتبة العلوية المقدسة مشكورة، و بحضور ما يقرب من٦٥٠ مرشداً ومرشدة، ويقام لتبيان دور المرشدين والمرشدات في تصحيح مناسك الحج، كما يكرس المؤتمر جهوده لبيان أهم النقاط التي سيقوم بها المرشدون في الديار المقدسة لمعالجة الأخطاء الفقهية التي قد يقع بها الحجاج لكي يكون حجهم سليماً ومقبولاً إن شاء الله ".

مقالة

المرجع الحكيم

نبوغ مبكّر متمسك بالعروة الوثقى

بقلم: صلاح عبد الرزاق

الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

المرجع الحكيم

كان المرجع الحكيم شخصية غير تقليدية بالمعنى الكلاسيكي، فقد كان محباً للحوار ويجلس ويستمع ويتحدث بحيوية كبيرة.

هو السيد محمد سعيد نجل آيةالله السيد محمد علي بن السيد أحمد الحكيم. ويرقى نسباً إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وهو السبط الأكبر للمرجع الأعلى السيد محسن الحكيم. وكان والده السيد أحمد الحكيم عالماً جليلاً ومجتهداً معروفاً.

ولد السيد محمد سعيد الحكيم في النجف الأشرف عام ١٩٣٦.

وقد حظي برعاية والده لما وجد فيه من الاستعداد والقدرة على البحث العلمي.

فباشر الوالد بتدريس ابنه محمد سعيد الدروس الفقهية المطلوبة في مناهج الحوزة العلمية حتى أنهى على يديه جل دراسة السطوح العالية.

في شبابه صحب كبار العلماء والفقهاء أمثال خاله السيد يوسف الطباطبائي الحكيم والشيخ محمد طاهر الشيخ راضي والسيد علي بحر العلوم والشيخ صادق القاموسي والشيخ هادي القرشي وكان يحضر مجالسهم.

دراسته وتدريسه في الحوزة العلمية

نظراً لنبوغه المبكر عهد إليه المرجع محسن الحكيم بمراجعة موسوعته الفقهية (مستمسك العروة الوثقى) استعداداً لطباعتها، فقام بذلك خير مقام.

وكان السيد محمد سعيد يراجع الإمام الحكيم في بعض القضايا.

فاكتشف فيه الإمام الحكيم مدى تفوقه العلمي فطلب منه مراجعة بعض الأجزاء المطبوعة منها.

درس السيد محمد سعيد على أيدي كبار فقهاء النجف الأشرف وأبرزهم والده السيد محمد علي الطباطبائي الحكيم حيث درس اللغة والنحو والمنطق والبلاغة والأصول والفقه.

ودرس على يد جده لأمه المرجع محسن الحكيم أبواب الفقه. ودرس على المرجع الشيخ حسين الحلي الفقه والأصول.

كما درس لدى السيد الخوئي في علم الأصول لمدة عامين.

بعد أن أتم السيد محمد سعيد عدة دورات في تدريس مستوى السطوح العالية للدراسة الحوزوية، شرع في عام ١٩٦٨ بتدريس البحث الخارج علي كتاب (كفاية الأصول) للآخوند محمد كاظم الخراساني، وهو أشهر كتب الحوزة العلمية في أصول الفقه.

وأتم الجزء الأول منه عام ١٩٧٢ حتى أتم الدورة الأصولية عام ١٩٧٩.

ثم بدأ بدورة أصولية ثانية رغم ظروف الاعتقال التي تعرض لها في الفترة بين عامي ١٩٨٢ إلى عام ١٩٩٠ .

وقام بتدريس الفقه بمستوى البحث الخارج على كتاب (المكاسب) للشيخ الأنصاري في عام١٩٧٢ . وفي عام ١٩٨٢ بدأ بتدريس الفقه الاستدلالي على كتاب (منهاج الصالحين) للإمام محسن الحكيم.

وقد تخرج على يديه نخبة من علماء الحوزة العلمية حتى بلغ موقع المرجعية وصار أحد أربعة مراجع النجف الأشرف.

المرجع الحكيم وأحداث خان النص

قبل سجنه قد تم منع السيد محمد سعيد الحكيم من السفر من قبل النظام البعثي منذ وصوله للسلطة عام ١٩٦٨. ولم يرفع عنه حتى عام ١٩٧٤ عندما سمح له بالسفر لحج بيت الله الحرام.

وبعد الحج بفترة أعيد منع السفر عليه مع المراقبة الشديدة.

في أحداث انتفاضة صفر عام ١٩٧٧ المتمثلة بقيام السلطة بمنع زوار الامام الحسين عليه السلام الذين كانوا يسيرون مشياً من النجف إلى كربلاء في زيارة الأربعين.فقامت قوات النظام البعثي باستخدام الطائرات والدبابات والمدرعات في تفريقهم واعتقالهم ومن ثم سجنهم وإعدام بعضهم.وقد عرفت بأحداث خان النص حيث وقعت المصادمة مع الزوار.

إصرار المرجع الحكيم على أداء زيارة الأربعين

أصرّ السيد محمد سعيد الحكيم على المشي مع الزوار برفقة ثلة من فضلاء وشباب أسرة الحكيم ، والذين استشهد بعضهم فيما بعد. وواصلوا المسير حتى وصلوا حرم الامام الحسين عليه السلام رغم وجود سيطرات النظام وجيشه الكثيف.وصارت قوات الأمن تلاحق جميع الشخصيات وقادة المواكب الذين شاركوا في الانتفاضة.

بعد عمليات القتل والاعتقال الجماعي للمشاركين في الزيارة، وصل لعلم السيد محمد سعيد أنه من المطلوبين للنظام. واضطر السيد محمد سعيد الحكيم إلى مغادرة بيته مع أبنائه للاختفاء عن عين السلطة. فأقام في أحد البيوت المهجورة لا يعلم به أحد سوى زوجته التي كانت تتردد عليه خفية بعيداً عن أزلام النظام وعيونه. وبقي مختفياً حتى أصدرت محكمة الثورة أحكامها بالاعدام والسجن على مجموعة من المعتقلين من الزوار، وإلى ما بعد غلق قضية خان النص.

تصاعد الضغوط بعد سلطة صدام

في ١٧ تموز ١٩٧٦ وصل صدام لسدة رئاسة الجمهورية، ودخل الشعب العراقي في محنة كبيرة وكابوس أشد ظلمة.فكانت الضغوط والملاحقات تتصاعد على العراقيين وخاصة طلاب وأساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف التي كانت تقلق النظام بعد أن شاهد سقوط الشاه على يد الامام الخميني وما أحدثت من هزة عنيفة في المنطقة والعالم.وقد تعرض الشهيد محمد باقر الصدر للاعتقال ثم الإعدام في٩ نيسان ١٩٨٠. كما تم تسفير عشرات الآلاف من العراقيين بحجة أن أصولهم إيرانية. ولم ينته عام ١٩٨٠ حتى شن صدام الحرب على الجمهورية الإيرانية والتي استمرت ثمان سنوات وراح ضحيتها مليون عراقي.

صدام والمؤتمر الإسلامي الشعبي

أثناء الحرب على إيران، حاول صدام تحشيد الرأي العام الإسلامي ضد إيران وإيجاد الضد النوعي للإعلام الإيراني الذي يستند على الشعارات والمفاهيم الإسلامية. وكان صدام يستشعر الخطر الإعلامي وتأثيره أكثر من غيره لأنه يدرك أهمية الترسانة الإعلامية التي بناها لإقناع العرب والمسلمين بممارساته وحروبه. ورغم أن الاعلام العربي وخاصة الخليجي والغربي كان يقف إلى جانب صدام لكنه بقي يفتقد للدعم الديني المهم في الحرب ضد إيران الاسلامية.

دعا صدام إلى عقد مؤتمر بعنوان (المؤتمر الإسلامي الشعبي) في بغداد، على أساس أن يحضره علماء المسلمين من خارج العرق وداخله، ليكونوا ضمن الجوقة الدعائية لنظام البعث، ولإظهار أن علماء المسلمين يدعمون مواقفه ومعاركه ضد المسلمين الإيرانيين بذريعة فتوى العلماء بالجهاد ضد (البغاة الإيرانيين) على حد زعمه. وكان من اللازم الضغط على علماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف بهدف إشراكهم بالمؤتمر بكل الطرق. وانتهى الأمر بضرورة استقدام عدد من أسرة آل الحكيم لما لهم من مكانة علمية وجماهيرية وإبراز أن الأسرة لا تؤيد الشهيد السيد محمد باقر الحكيم الذي كان يقود المعارضة من طهران.

اعتقال آل الحكيم وإعدام كوكبة منهم

أرسل صدام عدة وفود إلى أسرة الحكيم يدعوهم للمشاركة في المؤتمر لكنه وجد صدوداً كبيراً. عندها عاد لاستخدام أساليب القوة والتهديد والتلويح بالعقوبات إذا لم تنفذ الأسرة ما يريد صدام. أرسل النظام وفداً يضم مدير أمن النجف الأشرف المعروف باسم أبي مخلص وشخصاً آخر قال إنه مبعوث صدام إلى بيت السيد الشهيد محمد رضا نجل المرجع السيد محسن الحكيم. أبلغ الوفد أن صداماً يصر على مشاركة الأسرة في المؤتمر، وأنه إذا رفضت الأسرة الحضور سيعتبرها معادية له.

رفض السيد محمد رضا الحضور مهما كانت الظروف والضغوط. خرج الوفد غاضباً لفشل المهمة التي أوكله إياها صدام. عقد المؤتمر في عام١٩٨٣ ولم يحقق هدفه الداخلي رغم حضور مئات من العلماء السنة من خارج العراق وداخله. شعر النظام بفشله بسبب تغيّب آل الحكيم عنه، فأصدر صدام أمراً باعتقال الأسرة انتقاماً منها.

بعد حوالي أسبوعين على انعقاد المؤتمر وفي ليلة ٩/١٠ مايس ١٩٨٣ اعتقل أكثر من سبعين شخصاً من أسرة الحكيم. بضمنهم السيد محمد سعيد الحكيم وابنه السيد رياض، وسيدات وأطفال لم يبلغوا الحلم. كانت جريمة وحشية لم تجد لها نظيراً في تاريخ العراق والنجف الأشرف. تعرض المعتقلون لصنوف التعذيب في زنزانات مديرية الأمن العامة. وتم إعدام كوكبة منهم تضم ستة عشر من العلماء والشباب في وجبتين (واحدة ستة والأخرى عشرة شهداء) غادروا هذه الدنيا صابرين مظلومين.

المرجع السجين

لعل السيد محمد سعيد الحكيم من القلائل من المراجع العظام الذي تعرض للسجن فترة طويلة. في حين تعرض بعض المراجع للاعتقال لمدة قصيرة كالشهيد السيد محمد باقر الصدر والسيد علي السيستاني وآخرين. وبقي السيد محمد سعيد الحكيم سجيناً لمدة ثمان سنوات وأشهر من ٩ مايس ١٩٨٣ ولغاية ٧ حزيران ١٩٩١. في المعتقل تعرض السيد محمد سعيد ووالده السيد محمد علي والكثير من شخصيات الأسرة للتحقيق المتواصل مع الإساءة التي يتفنن أزلام النظام بها.

تفسير القرآن في السجن

بدأ السيد يعتاد مع أجواء المعتقل ويوصي باقي المعتقلين بالصبر والثبات والتوكل على الله. ولتوافر الوقت والتفرغ التام بدأ السيد محمد سعيد بإعطاء دروس في تفسير القرآن للمعتقلين. وعندما شعر حراس السجن بنشاطه وتفسيره فتحوا تحقيقاً معه لأن التثقيف الديني كان ممنوعاً ويعرض صاحبه لعقوبة الإعدام. اضطر السيد للتوقف عن التفسير لكنه استمر في إلقاء محاضرات بشكل سري في المناسبات الإسلامية. كما بادر إلى تحفيظ القصائد الدينية التي كان يحفظها لبعض شباب الأسرة بعيداً عن مراقبة الحراس.

في شهر آذار ١٩٨٥ قامت السلطة بنقل المعتقلين من آل الحكيم من معتقل مديرية الأمن العامة في بغداد إلى سجن أبي غريب السيء الصيت.وتم إيداعهم في الأقسام المغلقة التابعة للأحكام الخاصة المسماة بـ (قاف ٢) حيث تمنع عليهم الزيارة. وفرقوهم إلى جماعتين في زنزانتين كي لا يتصل بعضهم ببعض. وكان معهم سجناء آخرون محكومون بالسجن لمدد مختلفة من معارضي النظام البعثي. وكانت الزنازين مكتظة بالسجناء السياسيين مما عرضهم إلى مرض السل الرئوي بسبب عدم وجود النظافة.

إلقاء المحاضرات الاسلامية والثقافية

من جانب آخر تقلصت الرقابة على السجناء مما فتح أفسح المجال أمام السادة آل الحكيم لمزيد من العمل والنشاط الفقهي والعقائدي والتربوي. انتهز السيد محمد سعيد الحكيم الفرصة فانشغل بإلقاء المحاضرات الإسلامية والثقافية.كما توفق بتأليف عدد من الكتب الفقهية والأصولية وسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام معتمداً على ذاكرته ويكتبها على علب السكائر. وقد أكملها بعد الافراج عنه وطبعها.

وكان يهتم بالمعتقلين ويتابع المرضى منهم بمساعدة بعض الأطباء المسجونين، ويكلف بجلب الأدوية لهم من خارج السجن. وكانت نساء الأسرة اللاتي يأتين لزيارتهم يجلب معهن أدوية للسجناء الآخرين وكذلك الملابس والمؤن. طبعا حدث ذلك بعد أن سمحت السلطة بزيارة السجناء في أبي غريب.

الانتفاضة الشعبانية والمرجع الحكيم

بعد هزيمة النظام في حرب الكويت وانسحاب القوات العراقية قام المجاهدون الثوار بانتفاضة عرفت بانتفاضة آذار ١٩٩١ التي عمت أغلب محافظات العراق وخاصة الشيعية والكردية. ورغم الاعتقالات

والاعدامات والمقابر الجماعية التي غطت المدن الشيعية لكن النظام صب جام غضبه على أسرة آل الحكيم السجناء عنده. وتعرض السيد محمد سعيد الحكيم إلى صنوف التعذيب رغم ضآلة جسده وكبر سنه لكنه واجه الجلاد بصمود وصبر.

إطلاق سراح أسرة آل الحكيم

في حزيران ١٩٩١ أصدر صدام قراراً بالعفو عن المسجونين فشمل آلافاً من السجناء ومن بينهم أسرة آل الحكيم. عاد السيد محمد سعيد الحكيم إلى نشاطه في العمل التبليغي وتوزيع الكتب وإقامة الدورات والمشاريع الثقافية. كما انشغل بالدروس الحوزوية رافضاً التصدي للمرجعية بوجود السيد أبو القاسم الخوئي. وقد سمح له النظام بمغادرة العراق للعلاج في لندن ، فزارها وبقي عدة أسابيع لكنه عاد إلي العراق رغم إصرار بعض المؤمنين عليه بالبقاء خارج العراق.

التصدي للمرجعية

بعد رحيل السيد الخوئي عام ١٩٩٢ كثر الرجوع إلى سماحته والطلب منه بالتصدي للمرجعية من قبل المؤمنين وفضلاء الحوزة العلمية من داخل العراق وخارجه فاقتنع بذلك وأعلن عن مرجعيته ورتب مكتبه وممثليه ودروسه وطلابه. وأبدى سماحته اهتماماً ملحوظاً بالجماهير العراقية وكذلك الجاليات العراقية المقيمة في أوربا وأمريكا وكندا وأستراليا والبلدان المسلمة الأخرى. كما اهتم بأمور المؤمنين في الباكستان وأفغانستان وآذربايجان والقفقاس. وكان لا يتوانى في إصدار البيانات والتنديد بعمليات القتل العشوائي ضد الشيعة وتفجير مساجدهم وحسينياتهم في الباكستان.

ويرسل الرسائل إلى الرؤساء فيها مثل نواز شريف. كما تعاون مع رئيس جماعة نهضة العلماء في أندونيسيا عبد الرحمن وحيد في إفشال مخطط الوهابية لتكفير الشيع ومنع نشاطاتهم هناك عام ١٩٩٥ . وأبلغ سماحته الحكومة الماليزية بقلق المرجعية الدينية بسبب اعتقال عدد من الشيعة هناك بتأثير الجماعات المتطرفة. وتم التنسيق مع الشيخ محمد مهدي شمس الدين رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان حول ذلك الأمر. واستنكر سماحته تصريحات مفتي الأزهر لتكفير الشيعة. واتصل بالشيخ شمس الدين للضغط على مفتي الأزهر لتلافي تلك التصريحات ومنع تكرارها.

كان أحد المرجعيات البارزة للمسلمين الشيعة، ليس في العراق وحسب، بل كان له مقلدون في دول الخليج العربي، وإيران، ولبنان، وباكستان، وأفغانستان، والهند، فضلاً عن الولايات المتحدة الأميركية، والقارة الأوربية. وقد أيد سماحته وثيقة مكة المكرمة عام ٢٠٠٦ التي كتبت بإشراف مكتب السيد السيستاني وإطلاع المرجع الأعلى. وقد وقّع عليها عدد من العلماء والمفكرين العراقيين من الشيعة والسنة والتي اشتملت على عشرة بنود تؤكد على الاحترام المتبادل بين السنة والشيعة فيما يتعلق بالعقائد والأموال والأنفس والمساجد والحسينيات والأوقاف وحرمة قتل المسلم بسبب عقيدته ومذهبه. كما أكدت على تحقيق المصالحة الوطنية في العراق ومواجهة الجماعات المسلحة.

وفاة المرجع الحكيم

في يوم الجمعة ٢٥ محرم عام ١٤٤٣ هج الموافق ٣ أيلول ٢٠٢١ رحل إلى ربه عن عمر ناهز ٨٥ عاماً اثر إصابته بسكتة قلبية، بعد ثلاثة أيام من إجراء عملية جراحية في مستشفى الحياة الأهلية بالنجف الأشرف. وقد نقلت جنازته من مكتبه إلى كربلاء المقدسة أولاً حيث شارك الآلاف في تشييع جنازته. ثم نقلت إلى النجف الأشرف ليقام تشييع آخر ثم جرت مراسم الصلاة على الميت في صحن الامام علي عليه السلام شارك فيه عشرات الآلاف بضمنهم أساتذة وطلاب الحوزة العلمية وشخصيات سياسية وحكومية وعسكرية. وتم دفن الفقيد في غرفة رقم ٢٨ في الصحن المطهر. وفيما أعلنت الحكومة الاتحادية في بغداد الحداد العام ليوم واحد ، قررت الحكومة المحلية في النجف الاشرف حدادا لمدة ثلاثة أيام.

مراسلاتي مع المرجع الحكيم

كان المرجع الحكيم يولي اهتماماً كبيراً بالجاليات العراقية المقيمة في المهجر.وكان مكتبه يقوم بإرسال الخطابات والبيانات في المناسبات الإسلامية والأحداث التي يكون الشيعة ضحيتها. وكنت أستلم رسائله وتوجيهاته بالفاكس وهو الوسيلة الأسرع آنذاك في التسعينيات حيث لا وجود للواتساب وغيره من برامج المنصات الاجتماعية.نعم كان الإيميل موجوداً لكن النظام العراقي كان يمنع استخدام الايميل أو البريد الالكتروني والحواسيب والطابعات الشخصية، ويمنع بيع أجهزة الاستنساخ حيث يقتصر استخدامها على مكاتب معينة مرتبطة بأجهزة الأمن.

توجيهاته للمغتربين

وكان سماحته يبعث توجيهاته قبل شهر محرم الحرام وشهر رمضان وغيرها من المناسبات الإسلامية. وكان لا يتردد في إظهار تضامنه وتعاطفه مع المؤمنين خارج العراق. حيث يقول في بعض توجيهاته أنه:

(لا يزال في ألم وحسرة لمعاناتهم في غربتهم، ولفراقهم لبلادهم وأهاليهم. ولا زلنا نبتهل إلى الله جل شأنه في أن يعينكم جميعاً في محنتكم، ويلطف بكم في بليّتكم، ويحسن لكم التيسير، ولا يخذلكم في العسير ، وأن يعينكم ولا يكلكم إلى أنفسكم في الأمور إنه الرؤوف بالمؤمنين، الرحيم بهم).

وكان يوصي بالتمسك بالقيم والأخلاق الإسلامية التي تعكس منهج أهل البيت عليهم السلام .الاهتمام بالأجيال القادمة في المهجر ويؤكد على أهمية العناية بالجيل الثاني والثالث في المهجر، حيث يقول سماحته:

(عليكم بالاهتمام بالجيل الجديد الذي ولد أو نشأ في بلد الغربة. هذا الجيل الذي لم يعش الجو الذي عشتموه، ولا ألف المفاهيم التي ألفتموها، بل عاش في جو بعيد عن ذلك... فعليكم أن تغذّوهم بأصول الإسلام والايمان وتعاليم الدين الحنيف ، والخلق الإسلامي الرفيع... وتهيئوا لهم الجو المناسب في البيت وفي مجالسكم ومجامعكم ومعاهدكم، لينشدّوا لتلك الجذور الطيبة والأصول المثمرة، حتى يعيشوها في وجدانهم وعقولهم).

ويتناول سماحته العلاقة بين المؤمنين والمجتمعات الغربية المضيفة لهم فيقول:

(كما أكد أئمتنا عليهم السلام على حسن مخالطة الناس ومعاشرتهم بالمعروف واحترام مشاعرهم. وأنتم أيها المؤمنون المغتربون في بلا تعّود أهلها احترام القانون ، ومراعاة النظام وتقديسه، وهم ينظرون إليكم كضيوف في بلادهم، ونزلاء عندهم ، يرون أنهم قد أحسنوا إليكم حين قبلوكم واستضافوكم. وكلما ظهر منكم الالتزام بالنظام واحترام القانون كبرتم في نفوسهم، وفرضتم احترامكم عليهم، واحترام دينكم ومبادئكم الشريفة).

مسائل الابتلاء في الغرب

وكان سماحته يجيب على استفتاءات المغتربين فيما يتعلق بأمور الخاصة بدول المهجر مثل حكم الصيام في نهار يمتد إلى ٤٥ يوماً في النرويج. وكذلك أحكام الأطعمة أو المواد المضافة إليها، والذبح الحلال وعلاج أمراض العقم وأطفال الأنابيب ومنع الحمل، ومصافحة النساء الأجنبيات. إضافة إلى أحكام الفوائد والبنوك والقروض. كما حذر سماحته من مشاهدة المسلسلات المكسيكية التي تجعل الخيانة الزوجية شيئاً طبيعياً.

ومن الإصدارات الرائعة بهذا الصدد كتابه (مرشد المغتربين) المخصص لمسائل الهجرة وفقه المهجر. وهو كتاب كبير الحجم (٥٠٠ صفحة) يضم واحد وعشرين فصلاً في مسائل الهجرة والمغتربين. تناول سماحته الكثير من مسائل الابتلاء في الغرب بدءا من العقائد والأخلاق، مروراً بممارسة العبادات، وانتهاءاً باجتناب الأعمال المحرمة في البيع والشراء والغش والتدليس والكذب والتحايل على القوانين الغربية.

لقائي مع المرجع الحكيم

كنت أعمل مديراً عاماً للعلاقات والاعلام في ديوان الوقف الشيعي وكنت عضوا في الهيئة العراقية للغذاء التي تشرف على إجراءات الذبح الشرعي . في ٣١ أذار عام ٢٠٠٤ سافرت إلى النجف وتوجهت مباشرة إلى منزل المرجع السيد محمد سعيد الحكيم، الذي يقع في حي الجديدة. هذا المسكنُ الزهيد في معماره، كان مقصداً لمختلف زوار مدينة النجف، من سياسيين وباحثين وإعلاميين وسفراء، من مختلف الأديان والمذاهب. حيث طالما استقبل المرجع الحكيم شخصيات من تيارات عدة، كانت تجد لديه القدرة على الحوار المنفتح دون عُقد.

في إحدى المرات، زاره وفدٌ من رجال الدين المسيحيين، استقبلهم بحفاوة، وقال لهم: أنتم تبحثون عن الحقيقة، وأنا أبحث عن الحقيقة، فتعالوا نبحث عنها سوية.

المرجع الحكيم وحبه للحوار

وبحسب راوِية القصة والذي كان حاضراً، يقول: كان السيد الحكيم في هذا المجال شخصية غير تقليدية بالمعنى الكلاسيكي، فقد كان محباً للحوار مع مختلف العلماء والإعلاميين والباحثين. وكان يجلس ويستمع ويتحدث لهم بحيوية كبيرة، وكان مجلسه عامراً بزوار النجف. استقبلني ولده السيد رياض، ثم دخلت صالة واسعة هي (البراني)، سلمت على المرجع السيد الحكيم وكان طاعناً في السن، عليه آثار التعب البدني بسبب الفترة التي قضاها في سجون صدام. لكن روحه ونفسه كانت أريحية ومنفتحة ومتفائلة. حدثته عن وظيفتي ومهمتي التي قدمت من أجلها، وأعطيته فكرة عن قضية الذبح الإسلامي والإشكالات التي ترافقها خاصة عندما تكون بعيدة عن الرقابة الشرعية.

قضية الذبح الإسلامي

ثم طرحت عليه مجموعة من الأسئلة أعددتها مسبقاً فأجابني حسب فتواه. وأكد على الذبح باليد وأهمية التسمية على الذبيحة واستقبال القبلة أثناء الذبح. وأما بالنسبة للحم المستورد فقد قال بأنه إذا كان مستورداً من دولة مسلمة ويحتمل أن يكون الذبح شرعياً فاللحم حلال. وإذا كان من بلد كافر أو من بلد مسلم وتعلم بأنه غير مذكى بالوجه الشرعي فهو حرام.

وحول هدف الهيئة العراقية للغذاء قال المرجع السيد الحكيم: إن الإشراف على الذبح في العراق هو أفضل لأن هناك تسامحاً كثيراً في الذبح حالياً، ويفضل أن تشكل لجنة للإشراف على هذا الأمر، بل قد يكون واجباً.

وحول استيراد اللحم من الخارج قال سماحته: يفضّل وجود مسلمين يشرفون على عملية الذبح. وبارك جهودنا في توفير اللحم الحلال للناس.

ثم قال: أنتم أهل هذه البلاد وتعرفون أنها قدوة للناس وليس كسائر البلدان لما يمثله من أهمية وهيبة وقدسية في نفوس المسلمين. ووجود العتبات المقدسة وخاصة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، فالحفاظ على قدسية البلد أمر هام.

توضيح الأمور بنحو علمي

والغريب أن السيد محمد سعيد الحكيم كرر أمامي مرتين جملة يقول فيها: (أنا عندما كنت في لندن للعلاج، كنت آكل اللحم وأنا مطمئن أنه حلال، أكثر من العراق لأن تلك الدول تصدق مع الناس، وعليها رقابة شديدة، فلا تكذب على أهلها). لقد كان سماحته يوضح الأمور بشكل عملي، ويدعو إلى مراقبة اللحم الحلال في السوق العراقية، وضرورة اتخاذ كل الإجراءات للتأكد من أنه مذكى حسب الشريعة الإسلامية.

وفي ختام اللقاء سلمت على سماحته وأوصى بإعطائي عدداً من كتبه فقام ولده الصالح السيد رياض الحكيم بذلك ورافقني حتى مغادرة المكتب.

صحيفة الزمان

مقال

أدب الحوار عند الإمام الرِّضا عليه السلام

تميّز عهد الإمام الرضا عليه السلام بالانفتاح الفكريّ غير الموجَّه، وتَبِعه بالضرورة كثرةُ المناظرات، عُقد بعضها مِن قِبل المأمون العبّاسي، وقد جعلها بين الإمام الرضا عليه السلام ومجموعات من علماء الأديان والمذاهب الأخرى، وشخصيّات أخرى مختلفة، فأحياناً يكون الطرف المقابل زنديقاً وأحياناً ملحداً، وثالثةً يكون من أهل الكتاب، ورابعةً من المخالفين، وربّما كان المحاورُ المأمونَ نفسَه،
وكانت النتيجة أن ظهرت مفاهيم عقائديّة من الإمام عليه السلام في مسائل: التوحيد والإمامة والقرآن الكريم.

ماذا وراء المأمون؟

عُرِف هذا الرجل بمكره وأغراضه العدوانيّة، فلم يعقد المناظرات بقصد نشر المعارف الإسلاميّة، بل أراد. محاولاً بتخبّطٍ خائب. أن يُحرِج الإمام الرضا عليه السلام في موقفٍ علميّ، ليتّخذ موقفين خبيثَين: الأوّل. أن يُبطل اعتقاد الشيعة بإمامة عالم آل محمّد صلى الله عليه وآله، والثاني.أن يعزل الإمام عن ولاية العهد بادّعاء عجزه عن مقابلة المخالفين والمنحرفين.

فاستدعى شخصيّاتٍ من النصارى واليهود والمجوس والصابئة، ومن المذاهب الأخرى، ودعاهم إلى إلقاء المسائل والأسئلة العويصة والخاصّة بهم ولم يكن أحدٌ من الديانات الأخرى قد اطّلع عليها، والقضايا العقائديّة الدقيقة التي لم يتعرّف عليها العوامّ بعد!

أُسلوبان في الحوار والمناظرة والمناقشة:

أحدهما: الأسلوب العلميّ الأخلاقيّ المقصود به إظهار الحقائق المُبرهَنة وهداية الطرف المقابل، حرصاً عليه من السقوط في الضلالات.. وذلك ما توخّاه أئمّة الحقّ والهدى من أهل البيت النبويّ الطاهر عليهم أفضل الصلاة والسلام.

وثانيهما: الأسلوب الجدلي الذي يعتمد النقاش الفارغ والمغالطة واللفّ والدوران، والمراء الذي يُراد به الغلَبة بالباطل. وهو أسلوبٌ يرفضه الإسلام، كما رفضته الديانات السابقة، قال تعالى يستنكر ذلك: ﴿ولَمّا ضُرِبَ آبنُ مَريمَ مَثَلاً إذا قومُك مِنهُ يَصِدُّون * وقالُوا أآلِهَتُنا خيرٌ أَم هُو، ما ضَرَبُوه لكَ إلاّ جَدَلاً، بل هُم قومٌ خَصِمون [سورة الزخرف:٥٧ ـ ٥٨].

ولو تتبّعنا الحوارات والمناظرات التي أُقيمت بين الإمام الرضا عليه السلام والأطراف المقابلة كاليهود والنصارى، أو الملحدين والمخالفين، لوجدناه عليه السلام رافضاً كلَّ جدالٍ عقيم ولَفٍّ ودوران، حيث كان هدفه الإيصال إلى الحقيقة، وإثبائها للطرف الآخر ومحاولةَ إقناعه بها.

عناصر الحوار

١. شخصيّة المُحاوِر الذي يُدير عملية الحوار الذي يحتاج أن يكون لكلّ طرف حريّة فكرية يملك معها الثقة بشخصيّته المستقلّة، فلا يكون واقعاً تحت ضغط الإرهاب الفكري أو النفسي. وهذا المعنى يظهر في حوارات الإمام الرضا عليه السلام مع خصومه بشكلٍ واضح، فلم يحاول أن يَظهر بشخصيّةٍ إعجازيّةٍ تسلّطية، بل كان يعطي مخالفيه الحريّة الكاملة في التعبير عن آرائه بلا حَجْرٍ أو إرهاب، أو مصادرة، وإنّما كان يفسح المجال لمحاورِه ومُناظره ليبديَ كلَّ ما لديه، بعد ذلك يَعمد عليه السلام إلى تفنيد ما يطرحه المقابل بالأدلّة الواضحة القاطعة المقنعة التي تَسدّ الطريق على مَن تعمّد الجدل أو المغالطة والمكابرة.

٢. شخصيّة الطرف الآخر، حيث لابدّ أن تتوفّر فيه الرغبة في الوصول إلى الحقيقة وهو يبحث عنها، مبتعداً عن الجدل العقيم والمحاجّة الفارغة، ومحاولةِ إضاعة الوقت والجهد دون توجُّهٍ إلى أدلّة المحاور الآخَر لعلّها هي الأصحّ والأصوب، أو لعلّ الأَولى بالأخذ بها، وقد قال تعالى في صنفٍ من الناس دأبُهم التعامي والعناد: ﴿إنَّ الَّذينَ كَفَروا سَواءٌ عَلَيهِم أَنذَرتَهم أَم لم تُنذِرهُم لا يُؤمنون * خَتَمَ اللّهُ على قُلوبِهِم وعلى سَمعِهِم وعَلى أبصارِهِم غِشاوةٌ ولَهُم عذابٌ عظيم﴾ [سورة البقرة: ٧.٦].

٣. تشخيص موضوع الحوار مِن قِبل الطرفَين، بأن يحيطا علماً ومعرفةً بالفكرة التي منها ينطلقانِ في حوارهما لإثباتها أو نفيها، لأنّ الجهل بها وبتفاصيلها يجعل الحوار مرتبكاً مفكّكاً، لا يرتكز على مفاصل واضحة، ولا يمضي في طريقٍ معلوم المعالم، وربّما أصبح تخبّطاً في مجهولات لا يُدرى إلى أن ينتهي بها النقاش الغامض، وقد وبّخ القرآن الكريم أصحاب هذه الحالة في خطاب الله عزّوجلّ: ﴿ها أنتُم هؤلاء حاجَجْتُم فيما لكُم به عِلمٌ، فَلِمَ تُحاجُّون فيما ليسَ لكُم بهِ عِلم، واللّهُ يَعلَمُ وأنتُم لا تَعلَمون﴾ [سورة آل‌عمران:٦٦].

٤. أُسلوب الحوار، وهو أمرٌ مهمّ للوصول إلى الهدف المطلوب بلا إتلاف وقت أو إضاعة جهد، وقد رأينا في حوارات الإمام الرضا عليه السلام أُسلوباً واضحاً متميّزاً بمنهجيّةٍ علميّة، وطريقةٍ أخلاقية تعتمد اللينَ والمحبّة أساساً في البحث والمناظرة، إيماناً بمبدأ الإسلام بأنّ الحوار وسيلةٌ من وسائل إصابة الهدف وكشف الحقيقة للأخذ بها اعتقاداً وعملاً.

وقد حدّثنا التاريخ عن حواراتٍ كثيرةٍ وبحوثٍ ومجالات علميّةٍ عميقةٍ وخطيرة في مواضيع حسّاسة كالتوحيد والنبوّات والأديان والإمامة والكتب السماويّة، فلم يُنقَل لنا أنّ الإمام الرضا صلوات الله عليه . حاشاه . قد أهان واحداً من المخالفين أو مسّ كرامته، أو خدش مشاعره وأحاسيسه، بل نقل لنا أنّ جميع مخالفيه انتَهَوا بالإقرار بما أدلى هو سلام الله عليه، أظهروا ذلك أو أخفَوه، ولكنّ الذي ظهر على الجميع هو ارتسامُ ملامح الرضى على مُحيّاهم، لأنّ الإمام بحقّ هو (الرضا) اسماً ولقباً وحقيقةً وواقعاً.

• روى الشيخ الصدوق عليه الرحمة في (عيون أخبار الرضا عليه السلام ١:١٣/ح١) بسنده عن أبي نصر البزنطيّ قال: قلتُ لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن موسى عليهما السلام (الإمام الجواد عليه السلام): إنّ قوماً مِن مخالفيكم يزعمون أنّ أباك إنّما سمّاه المأمونُ «الرضا»، لما رضيه لولاية عهده! فقال عليه السلام: «كذبوا واللهِ وفجروا! بل اللهُ تبارك وتعالى سمّاه الرضا؛ لأنّه كان رضىً لله عزّوجلّ في سمائه ورضىً لرسوله والأئمّة بعدَه صلوات الله عليهم في أرضه.»

فقلت: ألم يكن كلٌّ واحدٍ من آبائك الماضين عليهم السلام رضىً لله عزّوجلّ ولرسوله والأئمّة مِن بعده عليهم السلام؟! فقال: «بلى»، فقلت: فَلِمَ سُمّيَ أبوك عليه السلام مِن بينهم «الرضا»؟ قال: « لأنّه رَضِيَ به المخالفون مِن أعدائِه، كما رضيَ به الموافقون مِن أوليائِه، ولم يكن ذلك لأحدٍ من آبائِه، عليهم السلام ، فلذلك سُمّيَ مِن بينهم الرضا عليه السلام .»

المصدر: شبكة الإمام الرضا عليه السلام

تعتبر التربية والتزكية من أهم الأهداف للرسالات الالهية، لأنها السبيل لإيصال الإنسان نحو كماله، ولهذا نجد ان القرآن الكريم حينما تحدّث عن هدف بعثة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم أعطى للتزكية والتربية مكانة عظيمة: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (سورة الجمعة،٢). ونهج البلاغة الكتاب الذي جمع كثيرا من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام وخطبه ورسائله والتي أدّت الظروف إلى أن تتناول الأحداث السياسية والاجتماعية بشكل كبير، إلا أنّه عليه السلام لم يغفل عن الجانب التربوي الشامل لباقي الأبعاد الإنسانية (عقائدية، أخلاقية، علمية، تاريخية...)

فالإمام عليه السلام يرى أن الإنسان الذي كرّمه الله سبحانه وتعالى وجعله خليفة في أرضه، يحتاج إلى التربية والتزكية لكي يصل إلى كماله، كما يجب عليه الالتزام في أقواله وأفعاله ومقاصده، وفق أحكام الله وهداه، إنّ ضعف الإنسان أمام الإغراءات المادية الدنيوية يتحتم عليه السلوك في طريق التربية والتعليم وفق الصراط المستقيم الذي رسمه الله تعالى ولكي يقوى على مقاومة الضلالة والفساد، ورفع الموانع التي تمنعه من وصوله الى الكمال، وهذه التربية، لا تستند فقط إلى مبادئ نظرية لا صلة بها بالواقع، بل تتخذ منها طريقاً ومنهجاً وسلوكا عمليا تترك آثارها على نفس الانسان وكذلك تتجلى ثمراتها في المجتمع.

مقال/ الشيخ د. محمد النمر

الأبعاد التربوية في نهج البلاغة

صُنِّف نهج البلاغة ضمن ثلاثة أبواب عامّة

الباب الأول: خطب أمير المؤمنين عليه السلام، ويشمل ٢٤١ خطبة. سمّى الشريف الرضي أربعة فقط من خطب نهج البلاغة:

الخطبة الثالثة المسمّاة بـ"الخطبة الشقشقية".
الخطبة ٨٣ المسّماة ب"الخطبة الغرّاء".
الخطبة ٩١ المسمّاة ب"خطبة الأشباح".
الخطبة ١٩٢ المسمّاة ب"الخطبة القاصعة".

الباب الثاني: الكتب، ويتضمن ٧٩ كتابًا ورسالة: ٦٣ كتابًا، ١٢ وصية وعهدًا ورسالة، حُكْمان، دعاء وحِلف.

الباب الثالث: الحِكَم، ويتضمن ٤٨٠ من الحِكَم والكلام القصير.

وبالرغم من أنّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام أكثر بكثير ممّا جمع في نهج البلاغة، إلّا أنّ كتاب نهج البلاغة يعد مصدراً أساسيا في الوصول إلى جزء من كلامه. لذلك سنعمد إلى تبيين التنوع الموضوعي للتربية في نهج البلاغة بحسب الأبعاد الانسانية (قد يكون هناك أبعاد تناولها الأمير ع في باقي الكتب ولم يتطرق إليها نهج البلاغة) وفقا لهذا التصنيف الثلاثي (خطب، كتب ، حكم) معتمدين على دراسة تحت عنوان نهج البلاغة من منظور جديد، للباحث جواهري حقيقي حيث حدد تنوع المواضيع في الخطب، الكتب والكلمات القصار بالتفكيك فيما بينها، وبيّن أيضًا المعدّل المئوي لتكرارها. وقد جاءت النتيجة أنّ الامام علي عليه السلام تناول ثمانية أبعاد في هذا الكتاب، ونشير هنا إلى بعض نتائج هذه الدراسة:

توزع الأبعاد التربوية للخطب في نهج البلاغة

نلاحظ من الجدول أعلاه أن الموضوعات المتعلقة بالبعد العسكري- الجهادي بالموقع الخامس بين الموضوعات الثمانية، بنسبة ٥٪ من جميع الخطب، بينما حظيت القضايا السياسية بنسبة ٣٥,٥٪، والاعتقادية بنسبة ٢٦٪ والأخلاقيّة بنسبة ١٦٪ بأعلى نسب من اهتمام الإمام عليه السلام وهذا ما يؤكد أنّ أغلب خطب نهج البلاغة كانت في فترة خلافته ع.

ونستنتج أنّ القضايا العسكرية في فكر الإمام كانت تعد وسائل للدفاع فقط، استُخدمت ضمن إطار المعتقدات الإسلاميّة، ومن أجل إقامة وتثبيت حكومة أمير المؤمنين عليه السلام التي تدور حول الحق والعدالة.

النقطة الجديرة بالاهتمام أيضاً، هي أنّ أولوية القضايا السياسية مشهودة في جميع سنوات حكومة الإمام عليه السلام، وهذا ما يشير إلى جهوده الخالصة لإصلاح انحرافات الحكومات السابقة والولاة المعينين من قبلهم.

من المعلوم أنّ للرسائل طبيعة شخصيّة وفردية، وإذا اقتضت الظروف التي يحدّدها كاتبها، فسيكون لها طبيعة سرية وخفية، وقد استفاد الإمام عليه السلام منها بنحو جيد لأهدافه ولأساليب بيانه. ومن أجل ذلك، ففي الموقع الذي يُظهر فيه دقّته في اكتشاف خيانة الولاة لبيت المال، أو حينما يريد توبيخ شخص مخطئ، أو هناك حيث يريد أن يحذر وينبّه لقضايا سياسية، أو يريد إماطة اللثام عن مؤامرة زاحفة، أو عندما يوضّح خطة عسكرية وسرية، فإنّه يستعين بأسلوب كتابة الرسائل، حتى إذا كانت المصلحة تقتضي حفظ ماء الوجه، فيحفظه، وإذا تقرر اختبار مدى ولاء الشخص، فيختبره، ليعلمَ، قبل كشف الغطاء عمّا هو كائن، كلَّ مَنْ في دائرة حكومة عدل علي عليه السلام، من هو، وما هو موقعه.

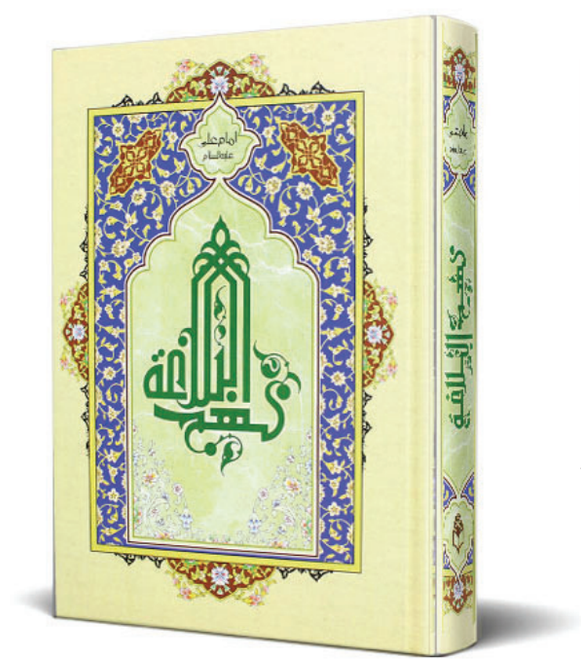

نظرًا لذلك، فمن البديهي أن نشهد في جدول الخطب، انخفاضًا كميًّا من ٣٪ إلى ١,٥٪ في القضايا الاجتماعيّة، وأن نشهد، نظرًا لتحذيرات الإمام عليه السلام الأخلاقيّة للأشخاص، ارتفاعًا في القضايا الأخلاقيّة من ١٦٪ إلى ٣١٪. وكذلك، فإنّا نلاحظ ارتفاعًا من ٥٪ إلى ٨,٥٪ في القضايا العسكرية- الجهادية، بداعي أهمية الخطط العسكرية والتحذيرات الأمنية. وبسبب اتخاذ الإمام عليه السلام توجهات دقيقة لمراعاة العدالة والعناية الخاصة بمُعدمي المجتمع، فإنّا نلاحظ ارتفاعًا إحصائيًا من ٠,٥٪ إلى ٧٪ في المواضيع الاقتصادية.

نلاحظ المواضيع الثمانية في قسم الجملات القصار أنّ الأبحاث السياسية-الاعتقادية هنا هي في الرتبة الأولى بنسبة ٢٨,٥٪، وتأتي بعدها بالترتيب الأبحاث التاريخية والأخلاقيّة. ومع أن الأبحاث التاريخية ازدادت مقارنة مع قسم الرسائل، فقد انخفضت الأبحاث العسكرية-الجهادية، بنسبة ٢٪ من جميع الكلمات القصار واستقرارها في الرتبة السابعة، إلى أدنى مستوى لها.

إنّ هذا الغنى الموضوعي في الأبعاد التربوية التي تناولها الأمير عليه السلام في نهج البلاغة تدلل بشكل كبير على المنهج التربوي الذي كان يعمل به والذي يريد أن يهذب ويربي به أصحابه فلم يقتصر على جوانب معينة بل تناول كل الجوانب التي يحتاجها اصحابه ورعيته في عملية التكامل والوعي والبصيرة ، بما يعزز طريق الهداية ويربطهم بالهدف الأسمى الذي هو القرب من الله سبحانه وتعالى، لذلك من المهم الإضاءة على هذه الجوانب التربوية بشكل موسع من أجل الاستفادة في مجال التخطيط التربوي والثقافي.

المصدر: مركز الأبحاث والدراسات التربوية

▫ الجدول رقم ١
توزع الأبعاد التربوية للخطب في نهج البلاغة

الترتيب	البعد	المجموع	النسبة المئوية
١	أخلاقي	٥٥	١٦
٢	اعتقادي	٩٠	٢٦
٣	سياسي	١٢١	٣٥.٥
٤	اجتماعي	١١	٣
٥	علمي	٩	٣
٦	اقتصادي	٢	٠.٥
٧	تاريخي	٣٦	١١
٨	عسكري- جهادي	١٦	٥
٩	المجموع	٣٤٠	١٠٠

▫ الجدول رقم ٢
توزع الأبعاد التربوية للرسائل في نهج البلاغة

الترتيب	البعد	المجموع	النسبة المئوية
١	أخلاقي	٢٩	٣١
٢	اعتقادي	١٣	١٠.٥
٣	سياسي	٤٥	٣٥.٥
٤	اجتماعي	٢	١.٥
٥	علمي	٣	٢
٦	اقتصادي	٩	٧
٧	تاريخي	٥	٤
٨	عسكري- جهادي	١١	٥.٨
٩	المجموع	١٢٧	١٠٠

▫ الجدول رقم ٢
توزع الأبعاد التربوية للكلمات القصار في نهج البلاغة

الترتيب	البعد	المجموع	النسبة المئوية
١	أخلاقي	٩	١٦
٢	اعتقادي	١٦	٢٨.٥
٣	سياسي	١٦	٢٨.٥
٤	اجتماعي	٢	٣.٥
٥	علمي	٠	٠
٦	اقتصادي	٢	٣.٥
٧	تاريخي	١٠	١٨
٨	عسكري- جهادي	١	٢
٩	المجموع	٥٦	١٠٠

الآفاق
• السنة الأولي
• العدد ٢٤
• الأثنين ٩ ذى‌القعده ١٤٤٤ هـ.ق
• ٨ صفحات
Ofogh-e Hawzah Weekly
• متعلق بمركز إدارة الحوزات العلمية
• المدير المسئول: محمدرضا برته
• مدير التحرير: علي‌رضا مكتب‌دار بمساعدة الهيئة التحريرية
• هاتف: ٣٢٩٠٠٥٣٨ ٢٥ ٩٨+ • فاكس: ٣٢٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨+
• ص. ب: ٣٧١٨٥/٤٣٨١
• العنوان: قم، شارع جمهوري، زقاق ٢، رقم ١٥
• الموقع: www.ofoghhawzah.ir
• البريد الالكتروني: info@ofoghhawzah.ir
• تصميم: السيد امير سجادي • مسئول الطبع: مصطفى اويسى
• طباعة: صميم ٤٤٥٣٣٧٢٥ ٢١ ٩٨+

شعر وقصيدة

في مدح الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام

السيد حسن الأعرجي

علي بن موسى حجة الله في الورى
بعيد مدى العلياء زاكي المناسب
إمام الورى هادي الأنام بلا مرا
عظيم القرى رب التقى والمناصب
هو البحر بحر العلم والحلم والحجى
وبحر العطايا والندى والمواهب
نماه إلى العلياء سراة أماجد
مناجيب من عليا لؤي بن غالب
علومهم تهدي الورى من دجى العمى
وآراؤهم مثل النجوم الثواقب
صناديد ورادون في كل مأقط
يطير له لب الكمي المحارب
إذا استعرت نار الهياج وأرعدت
فوارسها من كل قوم موائب
وقد عقدت أيدي المذاكي عجاجه
من النقع تسمو فوق مجرى الكواكب
يروون أطراف الأسنة والظبا
نجيعا عبيطا من نحور الكتائب
بضرب يقد الهام عن مقعد الطلى
وطعن يرد السمر حمر الذوائب
هم آل بيت المصطفى معدن الوفا
غيوث سما الجدوى ليوث المقانب
بهم نهتدي من ظلمة الجهل والعمى
ونرجوهم عند اشتداد النوائب
فيا خير من سارت إليه بنو الرجا
فراحت بجدواه ثقال الحقائب